﴿ القسم الرابع في الاخلاق المحمودة وهي أيضا عشرة أصول ﴾

﴿ الاصل الاول ﴾

التوبة فانها مبدأ طريق السالكين ومفتاح سعادة المريدين قال الله تعالى ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ وقال الله تعالى ﴿ وتوبوا الى الله جميعا ﴾ وقال النبي عليه السلام ﴿ التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴾ وقال عليه السلام لَلّهُ أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض فلات دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته فانفلتت فطلبها حتى اشتد عليه الجوع والعطش أو ما شاء الله عز وجل قال ارجع الى مكان الذي كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده وعليها زاده وشرابه * فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده *

فصل

حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الى طريق القرب

ولكن لها ركن ومبدأ وكمال ﴿أما مبدؤها﴾ فهو الايمان ومعناه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه أن الذنوب سموم مهلكة فيشتعل منه نار الخوف والندم وينبعث من هذه النار صدق الرغبة في التلافي والحذر * اما في الحال فبترك الذنوب * واما في الاستقبال فبالعزم على الترك * واما في الماضي فبالتلافي على حسب الامكان وبذلك يحصل الكمال

فصل

اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة على كل أحد وفي كل حال ولذلك قال الله تعالى ﴿وتوبوا الى الله جميعا﴾ فخاطب الجميع مطلقا * أما وجوبها فلان معناها معرفة كون الذنوب مهلكة والانبعاث لتركها وهو جزء من الايمان أعني هذه المعرفة فكيف لا تجب * وأما وجوبها على كل واحد فهو أن الانسان مركب من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية وربوبية حتى يصدر من البهيمية الشهوة والشره والفجور * ومن السبعية الغضب والحسد والعداوة والبغضاء * ومن الشيطانية المكر والحيلة والخداع * ومن الربوبية الكبر والعز وحب

المدح والاستيلاء * وأصول هذه الاخلاق هذه الاربع * وقد عجنت في طينة الانسان عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها * وانما ينجو من ظلماتها بنور الايمان المستفاد من العقل والشرع فأول ما يخلق في الآدمي البهيمية فيغلب عليه الشره والشهوة في الصبا * ثم يخلق فيه السبعية فيغلب عليه المعاداة والمنافسة * ثم يخلق فيه الشيطانية فيغلب عليه المكر والخداع اذ تدعوه السبعية والبهيمية الى ان يستعمل كياسته في حيل قضاء الشهوة وتنفيذ الغضب * ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو * ثم بعد ذلك يخلق العقل الذي يظهر فيه نور الايمان وهو من حزب الله وجنود الملائكة وتلك الصفات من جنود الشيطان * وجنود العقل يكمل عند الاربعين ويبدو أصله عند البلوغ * وأما سائر جنود الشيطان يكون قد سبق الى القلب قبل البلوغ واستولى عليه وألفته النفس واسترسلت في الشهوات متابعة لها الى أن يرد نور العقل فيقوم القتال والتطارد بينهما في معركة القلب * فان ضعف جند العقل ونور الايمان لم يقو على ازعاج

جنود الشيطان فتبقى جنود الشيطان مستقرة آخراً كما سبق الى النزول أولا * وقد سلم للشيطان مملكة القلب وهـذا القتال ضروري في فطرة الآدمى إذلا يتسع له خلقة الولد لما لا يتسع له خلقـه الاب * وانمـا حكي لك حال آدم صلوات الله عليه لتتنبّـه به أن ذلك كان مكتوبا عليـه وهو مكتوب على جميع أولاده في القضاء الازلي الذي لا يقبـل التبديل * فاذاً لا يستغنى أحد عن التوبة *

فصل

وأما وجوبها في كل حال فلان الانسان لا يخلو في جميع أحواله عن ذنب في جوارحه أو في قلبه ولا يخلو عن خلق من الاخلاق الذميمة مما يجب تزكية القلب عنه فانه مبعد عن الله والاشتغال بأماطتـه توبة لانه رجوع عن طريق البعـد الى طريق القرب فان خلا عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة عن الله وذلك أيضاً طريق البعد * ويلزمه الرجوع عنـه بالذكر ولذلك قال الله تعالى ﴿ واذكر ربك اذا نسيت ﴾ وان كان حاضراً على الدوام * وأنىّ يتصور ذلك فلا يخلو عن ملازمة

مقام نازل عن المقامات الرفيعة وراءه * وعليه أن يترقى منه الى مافوقه ومهما ترقى منه استغفر عن مقامه الذي خلّفه لانه تقصير بالاضافة الى ما أدركه وذلك لانهاية له * فلذلك قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة * وكل ذلك كان توبة منه الا أن توبة العوام عن الذنوب الظاهرة * وتوبة الصالحين عن الاخلاق الذميمة الباطنة وتوبة المتقين عن مواقع الريبة * وتوبة المحبين عن الغفلة المنسية للذكر * وتوبة العارفين عن الوقوف على مقام يتصور أن يكون وراءه مقام * والمقامات في القرب من الله لا نهاية لها فتوبة العارف لانهاية لها أيضا *

﴿ فصل ﴾

التوبة اذا اجتمعت شرائطها فهي مقبولة لامحالة ولا يخفى عليك ذلك ان فهمت معنى القبول * فمعنى القبول أن يحصل في قلبك استعداد القبول لتجلي أنوار المعرفة في القلب * وانما قلبك كالمرآة يحجبه عن التجلي كدورات الشهوة والرغبة فيها ويرتفع من كل ذنب ظلمة اليه * ومن كل حسنة نور اليه * فالحسنات تصقل

النفس * ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ اتبع السيئة الحسنة تمحها ﴾ ونسبة التوبة الى القلب نسبة الصابون الى الثوب ولا بد أن يزول منه الوسخ اذا استعمل فيه على وجهه * ومن تاب فانما يشك في قبول التوبة لانه ليس يستيقن تمام شروطها كما ان من شرب المسهل لا يستيقن حصول الاسهال به لانه لا يدري وجود تمام الشرائط في أدويتها ولو تصور أن يعلم ذلك لتصوّر أن يعلم القبول في حق الشخص المعين * ولكن هذا الشك في الاعيان لا يشككنا فى أن التوبة فى نفسها بطريق القبول لا محالة *

﴿ فصل ﴾

علاج التوبة حل عقدة الاصرار فانه لا مانع منها سوى الاصرار * ولا حامل عليه سوى الغفلة والشهوة * وذلك مرض فى القلب * وعلاجه كعلاج أمراض البدن لكن هذا المرض أكثر من مرض الابدان لثلاثة أسباب ﴿ أحدها ﴾ انه من مرض لا يعرف صاحبه أنه مريض وهو كبرص على وجه من لا مرآة له فانه لا يعالجه لانه لا يعرفه ولو أخبره غيره

ربما لم يصدقه ﴿الثاني﴾ أن عاقبة هذا المرض لم يشاهدها الانسان ولم يجربها * فلذلك تراه يتكل على عفو الله ويجتهد في علاج مرض البدن غاية الجهد ﴿الثالث﴾ وهو الداء العضال فقد الاطباء * فان الطبيب هو العالم العامل * وقد مرض العلماء في هذه الاعصار مرضا عسر عليهم علاج أنفسهم لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب ذلك على العلماء واضطروا الى الكف عن تحذير الخلق من الدنيا كيلا تنكشف فضيحتهم فافتضحوا لما اصطلحوا على الاقبال على الدنيا والتجاذب لها والتكالب عليها * فبهذا السبب عم الداء وانقطع الدواء * واشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذا لم يصلحوا لم يفسدوا * وليتهم سكتوا وما نطقوا بل صار كل واحد كانه صخرة في فم الوادي لاهي تشرب ولا تترك الماء ليشربه غيرها * وجملة القول في علاجه أن تنظر في سبب الاصرار وهو يرجع الى خمسة أبواب ﴿أولها﴾ أن العقاب الموعود ليس بنقد والطبع يستهين بما لا يوجد محققا

نعم ما قال بعض الشعراء فيما له مناسبة بهذا البحث

يامعشر القراء يامِلح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد

في الحال * وعلاجه أن تتفكر لتعلم أن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ماليس بآت * وأن الموت أقرب الى كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعله في آخر أيامه أو في آخر سنة من عمره ثم يتفكر انه كيف يتعب في الاسفار فيركب الاخطار خوفا من الفقر في الاستقبال ﴿ الثاني ﴾ ان اللذات والشهوات أخذت بمخنقه في الحال فليس يقدر على قلعها * وعلاجه ان يتفكر انه لو ذكر له طبيب نصراني بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وهو ألذ الاشياء عنده كيف يتركه * فليعلم ان الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أصدق من الطبيب النصراني * والخلود في النار أشد من الموت بالمرض وليقرر على نفسه انه اذا كان يشق عليه ترك اللذات أياما قلائل فكيف لا يشق عليه ملابسة النار والحرمان عن الفردوس ونعيمه أبد الدهر ﴿ الثالث ﴾ انه يسوّف بالتوبة يوما فيوما وعلاجه ان يتفكر ويعلم ان بناء خطر السعادة والشقاوة على ماليس اليه جهل فمن أين يعلم انه يبقى الى ان يتوب * وان أكثر صياح أهل النار من التسويف لانهم سوّفوا حتى

فاجأهم مرض ساقهم الى الموت كيف وانما يسوف لانه يعجز عن قمع الشهوات فى الحال فان كان ينتظر يوماً يسهل فيه قمع الشهوات فهذا يوم لم يخلق أصلا * بل مثاله مثال إمرئ يريد ان يقلع شجرة عجز عنها لضعفه وقوة رسوخ الشجرة فيوخر الى السنة القابلة وهو يعلم ان الشجرة تزداد كل يوم رسوخاً وقوّته تزداد كل يوم قصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل ﴿ الرابع ﴾ أن يعد نفسه بالكرم والعفو وذلك غاية الحمق اوردها الشيطان فى معرض الدين * قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى ﴾ ﴿ الخامس ﴾ ان يكون والعياذ بالله شاكا فى أمر الآخرة * وقد ذكر نا علاجه فى خاتمة الاخلاق الذميمة *

﴿ فصل ﴾

التوبة من الذنوب كلها مهمة واجبة وعن الكبائر اهم والاصرار على الصغيرة أيضاً كبيرة فلا صغيرة مع أصرار ولا كبيرة مع رجوع واستغفار * وتواتر الصغائر عظيم التأثير

في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء على الحجر فانه يحدث فيه حفرة لامحالة مع لين الماء وصلابة الحجر * وتعظم الصغيرة باسباب ﴿ احدها ﴾ ان يستصغرها العبد ويستهين بها فلا يغتم بسببها * قال بعضهم الذنب الذى لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا ﴿ الثاني ﴾ السرور بها والتبجح بسببها واعتقاد التمكن منها نعمة حتى ان المذنب ليفتخر فيقول مارأيتني كيف شتمته وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته فى المعاملة وذلك عظيم التأثير في تسويد القلب ﴿ الثالث ﴾ ان يتهاون بستر الله عليه ويظن ان ذلك لكرامة عند الله تعالى ولايدري انه ممقوت * وقد أمهل ليزداد اثما فيكون في الدرك الاسفل من النار ﴿ الرابع ﴾ ان يجاهر بالذنب ويظهره او يذكره بعد فعله * وفي الخبر كل الناس معافي الا المجاهرون ﴿ الخامس ﴾ أن يصدر الصغيرة عن عالم يقتدى به فذلك عظيم لانه يبقى بعد موته * فطوبى لمن مات ومات معه ذنوبه * ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة * وروي ان بعض علماء بني اسرائيل تاب

عن ذنوبه وبدعته فاوحى الله الى نبيّ زمانه ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فادخلتهم النار * وعلى الجملة فلا باعث على التوبة الا الخوف الصادر عن البصيرة والمعرفة * فلنذكر فضيلة الخوف *

﴿ الاصل الثاني في الخوف ﴾

وقد جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وناهيك بذلك فضلا فقال تعالى ﴿ هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ وقال ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقال الله تعالى ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ رأس الحكمة مخافة الله ﴾ وقال عليه السلام ﴿ من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله تعالى خوّفه الله من كل شيء ﴾ وقال عليه السلام قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فاذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة * واذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة *

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن حقيقة الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال * وقد يكون ذلك الخوف من جريان ذنوب * وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف لامحالة — وهذا أكمل وأتم لان من عرف الله خافه بالضرورة * ولذلك قال الله تعالى ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ﴿ خفني كما تخاف السبع الضاري ﴾ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أنا أخوفكم لله تعالى ﴾ واعلم أن الواقع في مخالب السبع انما لايخافه اذا لم يعرف السبع * فان من علم أن من صفة السبع أنه يهلكه ولا يبالي فان تركه لم يكن لرقته عليه وشفقته فانه أحقر عنده من أن يشفق عليه فلا بد من أن يخاف ولله المثل الاعلى - وهو العزيز الحكيم * ولكن من عرف انه لو أهلك الاولين والآخرين لم يبال ولم ينقص شيء من ملكه ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعا ﴾ وكم

أهلك من عباده في الدنيا * وعرضهم لانواع العذاب ولم تأخذه رقة ولا شفقة فان ذلك محال عليه فلا بد وان يخاف * فمعرفة الجلال والعزة والاستغناء يورث الهيبة بالضرورة * وهذا أكمل انواع الخوف وافضلها *

﴿ فصل ﴾

علاج الخوف وتحصيله على رتبتين ﴿ احديهما ﴾ معرفة الله تعالى فانها توجب الخوف بالضرورة فان الواقع في مخالب السبع لايحتاج الى علاج ليخاف ان كان يعرف السبع * ومن عرف جلال الله تعالى واستغناءه وانه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وانه تمت كلمته بالسعادة والشقاوة في حق كل احد صدقا وعدلا وان ذلك لا يتصور تغييره ولا يصرفه * عن تنفيذ قضائه الازلي صارف وهو لا يدري ما الذي سبق به القضاء في حقه * ولا يدري ما الذي يختم له به وأحتمل عنده ان يكون مقضيا له بشقاوة الابد فهذا لا يتصور ان لا يخاف ﴿ واما من عجز عن حقيقة المعرفة ﴾ فعلاجه النظر الى الخائفين ومشاهدة احوالهم او سماع ذلك * فان اخوف

خلق الله الانبياء والاولياء والعلماء واهل البصيرة * وأعظم الخلق أمنا الغافلون الاغبياء الذين لا يمتد نظرهم لا الى السابقة ولا الى الخاتمة ولا الى معرفة جلال الله تعالى — وهذا كما ان الصبي لا يخاف الحية مالم ينظر الى ابيه يخافها ويهرب منها ويرتعد فرايصه اذا رآها فينظر اليه فيقلده ويستشعر خوفه وان لم يعرف بالحقيقة صفة الحية * وقد قال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبرائيل عليه السلام قط الا وهو يرتعد فرائصه فرقاً [1] من النار * وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل يبكيان * فاوحى الله سبحانه اليهما مالكما تبكيان * قالا يارب ما نأمن مكرك * فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري * ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون * وقيل لما خلق الله تعالى النار طارت افئدة الملائكة عن اماكنها فلما خلق بني آدم عادت وكان ازيز [2] قلب ابراهيم

---

(١) فرق فرقا من باب تعب خاف (٢) أزت القدر تئز وتؤز أزاً وأزيزاً وأزازاً بالفتح وائتزت وتأزت اشتد غليانها أو هو غليان ليس بالشديد والنار أوقدها والازز محركة امتلاء المجلس

عليه السلام يسمع في الصلاة من مسيرة ميل * وبقي داود عليه السلام اربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت الرعى [1] من دموعه * وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لطائر ليتني مثلك ياطائر ولم اخلق * وقال ابو ذر رضي الله عنه وددت لو اني شجرة تعضد [2] وقالت عائشة رضي الله عنها وددت لو اني نسياً منسياً * وقد حكينا احوال الخائفين فى كتاب الخوف فليتأمل القاصر عن ذروة المعرفة احوال الانبياء والاولياء والعارفين * ليعلم انه احق بالخوف منهم * واذا تأمل ذلك بالحقيقة غلبه خوفه *

﴿ فصل ﴾

الخوف سوط يسوق العبد الى السعادة ولا ينبغي ان يفرط بحيث يورث القنوط فذلك مذموم [3] * بل اذا غلب ينبغي ان يمزّج الرجاء به * نعم ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء مادام العبد مقارناً للذنوب ﴿ فاما المطيع ﴾ المتجرد لله تعالى فينبغي ان

---

(١) ألرعى بالكسر الكلأ جمعه أرعاء (٢) أى تقطع وعضده قطعه (٣) يانفس لاتقنطي من زلة عظمت * ان الكبائر فى الغفران كاللمم

يعتدل خوفه ورجاؤه مثل عمر رضي الله عنه حيث قال لو نودي ليدخلن الجنة جميع الخلق الا رجل واحد لخفت ان أكون أنا ذلك الرجل * ولو نودي ليدخلن النار جميع الخلق الا رجل واحد لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل * واما اذا قرب الموت فالرجاء وحسن الظن بربه اولى به * قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه ﴿ والرجاء ﴾ يخالف التمني فان من لا يتعاهد الارض ولا يبث البذر ثم ينتظر الذرع فهو متمنى مغرور فليس براج * انما الراجي من تعهد الارض وسقاها * وبث البذر وحصل كل سبب يتعلق باختياره ثم بقي يرجو ان يدفع الله الصواعق والقواطع وان يمكّنه من الحصاد بعد الانبات * ولذلك قال عز وجل ﴿ ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ وبالجملة فثمرة الرجاء الترغيب في الطلب * وثمرة الخوف الترغيب في الهرب * ومن رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئا هرب منه * واقل درجات الخوف ما يحمل على ترك الذنوب وعلى الاعراض عن الدنيا * وما لا

يحمل على ذلك فهو حديث نفس وخواطر لا وزن لها تشبه رقة النساء ولا ثمرة لها * بل الخوف اذا تم أثمر الزهد في الدنيا * فلنذكر الزهد ومعناه *

﴿ الاصل الثالث في الزهد ﴾

قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى * وقال من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه * ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال الله تعالى في حق قارون * فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتي قارون انه لذو حظ عظيم * وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً * فبين ان الزهد من ثمرات العلم * وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له * ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة

ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام * ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وعن معنى الشرح قال عليه السلام * إن النور اذا دخل القلب انشرح الصدر وانفسح * قيل وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله * وقال عليه السلام استحيوا من الله حق الحياء * وقيل انا نستحي قال عليه السلام تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون * وقال عليه السلام من زهد فى الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام * وقال عليه السلام لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشئ احب اليه من كثرته * وقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيراً زهّده فى الدنيا ورغّبه في الآخرة وبصّره بعيوب نفسه * وقال عليه السلام ﴿ ازهد في الدنيا يحبك الله تعالى وازهد فيما فى ايدي الناس يحبك الناس ﴾ وقال عليه السلام من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا

فصل

للزهد في الدنيا حقيقة واصل وثمرة [1] ﴿ اما حقيقته ﴾ فهو عزوف النفس [2] عن الدنيا وانزواؤها [3] عنها طوعاً مع القدرة عليها * وأصلها العلم والنور الذى يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر ويتضح به أن الآخرة خير وأبقى وان نسبة الدنيا الى الآخرة أقل من نسبة خزفة الى جوهرة ﴿ وثمرتها ﴾ القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب * فالاصل نور المعرفة فيثمر حال الانزواء * ويظهر على الجوارح بالكف الاعن قدر الضرورة فى زاد الطريق ﴿ والضروري ﴾ من زاد الطريق مسكن وملبس ومطعم وأثاث ﴿ أما المطعم ﴾ فله طول وعرض ﴿ أما طوله ﴾ فبالاضافة الى الزمان ﴿ وأقصر درجاته ﴾ الاقتصار على دفع الجوع فى الحال * فاذا دفعه غدوة لم يدخر شيئا لعشائه

---

(١) الزهد في اللغة ترك الميل الى الشيء * وفى اصطلاح أهل الحقيقة هو بغض الدنيا والاعراض عنها * وقيل هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة انتهى كتبه مصححه محي الدين الكردي

(٢) عزفت نفسي عنه تعزف عزوفا زهدت فيه وانصرفت عنه

(٣) والانزواء بالفارسى كوشه نشستن وازخلق فارغ بودن

﴿ وأوسطه ﴾ أن يدّخر لشهر الى أربعين يوما فقط ﴿ وأدناه ﴾ أن يدّخر لسنة * فان جاوز ذلك خرج عن جميع أبواب الزهد الا أن لا يكون له كسب ولا يأخذ من الايدى كداود الطائي فانه ملك عشرين ديناراً فامسكها وقنع بها عشرين سنة * فذلك لا يبطل مقام الزهد ودرجته فى الآخرة الا عند من يشرط التوكل فى الزهد ﴿ وأما عرضه ﴾ فاقله نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد * والزيادة عليه تبطل رتبة الزهد * وأما الجنس فأقله مايقوت ولو النخالة * وأوسطه خبز الشعير * وأعلاه خبز البرّ غير منخول فان نخل فهو تنعم لا زهد * فاما الادام فاقله الخل والبقل والملح * وأوسطه الادهان وأعلاه اللحم * وذلك فى الاسبوع مرة أو مرتين * فاذا دام لم يمكن صاحبه زاهدا * قالت عائشة رضي الله عنها كان يأتي أربعون ليلة وما يوقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار * وقيل ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر ﴿ وأما الملبس ﴾ فأقله ما يستر العورة ويدفع الحرّ والبرد * وأعلاه قميص

وسراويل ومنديل من الجنس الخشن * ويكون بحيث لو غسل ثوبه لم يجد غيره * فان كان صاحب القميصين لم يكن زاهدا * قال أبو ذر [١] أخرجت عائشة رضى الله عنها كساء ملبداً وازاراً غليظاً * فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين * وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة [٢] لها علم * فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم الحديث * وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد [٣] * فلما سلم عن صلوته * قال اعيدوا الشراك الخلق فاني نظرت اليه فى الصلاة * وكان عليه السلام قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخرّسا جدا * فقال عليه السلام اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين رآه * وقد عُدّ على قميص عمر رضى الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم * واشترى على رضوان الله عليه في خلافته ثوباً بثلاثة دراهم وقطع كميه

---

(١) وفي النسخة الكردية قال أبو بردة الخ (٢) الخميصة هي ثوب خز أو صوف معلم (٣) والسير بالفتح الذى يقد من الجلد *

من الرّسغين * وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه * وقال بعضهم قوّمت ثوب سفيان ونعله بدرهم ودانقين وقال علي رضوان الله عليه ان الله عز وجل أخذ على أئمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدى بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ﴿ واما المسكن ﴾ فادناه ان تقنع بزاوية في مسجد او رباط كاهل الصُفّة * واعلاه ان يطلب لنفسه موضعاً خاصا وهي حُجرة اما بشراء او اجارة بشرط ان لا يزيد سعته على قدر الحاجة ولا يرفع بناؤه ولا يهتم بتجصيصه * وفي الاثر ان من يرفع بناءه فوق ستة اذرع ناداه مناد الى أين ياأفسق الفاسقين * ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة * وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصّا[1] فقال ان الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتا من خص * فقيل له لو شئت لاتخذته من الطين * فقال هذا كثير لمن يموت * وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق

---

(١) الخص بالضم البيت من القصب

ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة * وقال عليه السلام كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما أكنّ من حرّ وبرد ﴿واما﴾ اثاث البيت ففيه ايضا درجات * وادناها حال عيسى بن مريم عليه السلام اذ لم يكن معه الا مشط وكوز * فرأى انسانا يمشط باصابعه فرمى المشط * ورأى آخر يشرب بيده فرمى الكوز ﴿واوسطه﴾ ان يستعمل الجنس الخشن واحداً في كل غرض * ويجتهد ان يستعمل واحداً في اغراض * وقال عمر رضي الله عنه لعمير بن سعيد وهو امير حمص مامعك من الدنيا * فقال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي أحمل فيها طعامي * ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل رأسي وثوبي * ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي * فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال صدقت * وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا * وكان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وعباءة خشنة * فهذه سيرة الزهاد في الدنيا * فمن حرم هذه

الرتبة فلا اقل من ان يتحسّر على فواتها ويجتهد ان يكون قربه منهم اكثر من قربه من المتنعمين في الدنيا *

فصل

الزهد على درجات ﴿ احداها ﴾ ان يزهد ونفسه مايلة الى الدنيا ولكن يجاهدها * وهذا متزهد وليس بزاهد ولكن بداية الزهد ألزهد ﴿ الثانية ﴾ ان تنفر نفسه عن الدنيا ولا تميل اليها لعلمه بان الجمع بينها وبين نعيم الآخرة غير ممكن فتسمح نفسه بتركها كما تسمح نفس من يبذل درهما ليشتري جوهرة وان كان الدرهم محبوبا عنده وهذا زهد ﴿ الثالثة ﴾ ان لاتميل نفسه الى الدنيا ولا تنفر عنها بل يكون وجودها وعدمها عنده بمثابة واحدة * ويكون المال عنده كالماء وخزانة الله تعالى كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه رغبة ونفورا * وهذا هو الاكمل لان الذى يبغض شيئا فهو مشغول به كالذى يحبه ولذلك ذُمّ الدنيا عند رابعة العدوية * فقالت لولا قدرها في قلوبكم ماذممتموها * وحمل الى عايشة رضى الله عنها ماية الف درهم فلم تنفر عنها ولكن فرقتها فى يومها * فقالت خادمتها لو

اشتريت بدرهم لحماً تفطرين عليه * فقالت لو ذكرتني لفعلت فهذا هو الغنى وهو اكمل من الزهد * ولكنه مظنة غرور الحمق اذ كل مغرور يستشعر في نفسه ان لا علاقة لقلبه مع الدنيا وعلامة ذلك ان لا يدرك الفرق بين ان يسرق جميع ماله او يسرق مال غيره * فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به *

﴿ فصل ﴾

كمال الزهد هو الزهد في الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منصباً فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيئاً فقد عظّم الدنيا اذ الدنيا عند ذوي البصاير لا شيء * وصاحبها كمن منعه عن دار الملك كلبٌ على بابه فالقى اليه لقمة خبز وشغله بها ودخل دار الملك وجلس على سرير الملك فان الشيطان كلب على باب الله تعالى * والدنيا كلها اقل من لقمة بالاضافة الى الملك اذ اللقمة لها نسبة الى الملك اذ يفنى بامثالها والآخرة لا يتصور ان تفنى بامثال الدنيا لانها لا نهاية لها *

﴿ فصل ﴾

الزهد باعتبار الباعث عليه على ثلاث درجات ﴿ احديها ﴾ ان

يكون باعثة الخوف من النار وهذا زهد الخائفين ﴿ الثانية ﴾ وهي أعلى منه ان يكون باعثة الرغبة في نعيم الآخرة * وهذا زهد الراجين * والعبادة على الرجاء افضل منها على الخوف لان الرجاء يقتضي المحبة ﴿ الثالثة ﴾ وهي أعلاها ان يكون الباعث عليه الترفع عن الالتفات الى ماسوى الحق تنزيها للنفس عنه واستحقاراً لما سوى الله * وهذا زهد العارفين وهو الزهد المحقق وما قبله معاملة اذ ينزل صاحبها عن شئ عاجلا ليعتاض عنه اضعافه آجلا *

فصل

الزهد باعتبار ما فيه من الزهد على درجات ﴿ وكماله ﴾ الزهد في كل ماسوى الله تعالى في الدنيا والآخرة ﴿ ودونه ﴾ الزهد في الدنيا خاصة دون الآخرة ﴿ ثم يدخل ﴾ فيه كل مافيه حظ وتمتع في الدنيا من مال وجاه وتنعم ودون ذلك ان يزهد في المال دون الجاه أو في بعض الاشياء دون البعض * وذلك ضعيف لان الجاه ألذ وأشهى من المال فالزهد فيه اهم *

﴿ فصل ﴾

الزهد ان تنزوي عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها *أما ان انزوتِ الدنيا عنك وانت راغب فيها* فذلك فقر وليس بزهد ولكن للفقر ايضا فضل على الغنى لانه منع عن التمتع بالدنيا وهذا هو أفضل ممن مكن من الدنيا والتمتع بها حتى الفها واطمأن اليها ولم يتجاف قلبه عنها فيعظم الالم والحسرة عند الموت وتكون الدنيا كانها جنة الغني *وتكون كانها سجن الفقير اذ يشتهي الخلاص من آلامها والفقر من اسباب السعادة *قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحمى عبده عن الدنيا وهو يحبه كما يحمى احدكم مريضه عن الطعام والشراب * وقال عليه السلام يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنياءها بخمس ماية عام وقال عليه السلام خير هذه الامة فقراؤها *وقال عليه السلام اذا رأيتَ الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين *واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته* وقال موسى عليه السلام يارب من احباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك * فقال كل فقير ﴿واعلم﴾ ان الفقير ان كان قانعا بما أعطي غير شديد الحرص

على الطلب فدرجته قريب من درجة الزاهد* قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم الفقراء الصبراء هم جلساء الله تبارك وتعالى * وقال عليه السلام احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع* واوحى الله تعالى الي اسماعيل صلوات الله عليه وسلامه اطلبني عند المنكسرة قلوبهم * قال ومن هم قال الفقراء الصادقون * وعلى الجملة انما يعظم ثواب الفقير عند القناعة والصبر والرضى والصبر على الفقر مبدء الزهد * ولا تتم هذه المقامات الا بالصبر فلنذكره*

﴿ الاصل الرابع فى الصبر ﴾

قال الله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين * وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم * فقال عز من قائل اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون* وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون * وقال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا * وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب * وذكر الله

سبحانه في القرآن الصبر في نيف وسبعين موضعاً * وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان * وقال عليه السلام من اقل ما أوتيتم ﴿اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار﴾ وقال عليه السلام الصبر كنز من كنوز الجنة * وسئل النبي عليه السلام مرة عن الايمان فقال هو الصبر * وقال عيسى عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون *

﴿فصل﴾

حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وهو من خاصية الآدميّ الذي هو كالمركّب من شعب ملكيّة وبهيمية لان البهيمية لم يسلط عليها الا دواعي الشهوة والملائكة لم يسلّط عليهم الشهوة بل جُرّدوا للشوق الى مطالعة جمال الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها فهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون * فليس فيهم داعية الشهوة فلم يتصور الصبر للملك ولا بهيمة بل الانسان سُلّط عليه جندان يتطاردان ﴿احدهما﴾ من حزب الله وملائكته وهو العقل وبواعثه

﴿ والثاني ﴾ من جنود الشيطان وهي الشهوات ودواعيها بعد البلوغ يظهر بواعث الدين والعقل اذ يحمل على النظر الى العواقب وتبتدئ بقتال جند الشيطان فان ثبت باعث الدين في مقابلة باعث الهوى حتى غلبه فقد حصل مقام الصبر اذ لايتصور الصبر الا عند تعارض الباعثين على التناقض وذلك كالصبر على شرب الدواء البشيع اذ يدعو اليه داعي العقل ويمنع منه داعي الشهوة * وكل من غلبته شهوته لم يلزم عليه ومن غلب عقله شهوته فصبر على مرارته لينال الشفاء * وشطر الايمان انما يتم بالصبر * ولذلك قال النبي عليه السلام الصبر نصف الايمان لان الايمان يطلق على المعارف والاعمال جميعاً وسائر الاعمال في طرفي الكف والاقدام والتزكية والتحلية لا يتم الا بالصبر لان جملة اعمال الايمان على خلاف باعث الشهوة فلا يتم الا بثبات باعث الدين في مقابلته * ولذلك قال عليه السلام الصوم نصف الصبر لان الصبر تارة في مقابلة داعي الشهوة وتارة في مقابلة داعي الغضب * والصوم هو كسر لداعية الشهوة *

﴿ فصل ﴾

الصبر له ثلاث درجات بحسب ضعفه وقوته ﴿الدرجة العليا﴾ ان تقمع داعية الهوى بالكلية حتى لا يبقى لها قوة للمنازعة ويتوصل اليها بدوام الصبر وطول المجاهدة وذلك من الذين قيل لهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واياهم ينادي المنادي يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ﴿ الدرجة السفلي ﴾ ان تقوى داعية الهوى وتسقط منازعة باعث الدين ويغلب الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان وذلك من الذين قيل فيهم ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين *وعلامته شيئان ﴿ احدهما ﴾ ان يقول انا اشتاق الى التوبة ولكن تعذرت عليّ فلست اطمع فيها فهذا هو القانط وهو الهالك ﴿ الثاني ﴾ ان لا يبقى فيه شوق الى التوبة ولكن يقول الله كريم رحيم وهو مستغنى عن توبتي فلا تضيق الجنة الواسعة والمغفرة الشاملة عنيّ * وهذا المسكين قد صار عقله اسير شهوته ولا يستعمله الا في استنباط حيل قضاء الشهوة فصار عقله كالمسلم الا سير بين

الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها على العنق والظهر الى بيوتهم * فانظر كيف يكون حال العبد اذا اخذ أعز أولاد الملك وسلمه الى أخس اعدائه حتى استرقه واستسخره ففي مثل حاله يكون قدوم هذا الغافل المنهمك على الله تعالى نعوذ بالله منه ﴿ الدرجة الوسطى ﴾ ان لا يفتر على المحاربة ولكن يكون الحرب بينهما سجالا تارة له اليد وتارة عليه اليد* وهذا من المجاهدين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا الآية *وعلامة هذا ان يترك من الشهوات ماهو اضعف ويعجز عما هو اغلب *وربما يغلبها فى بعض الاوقات دون بعض وهو في جميع الاحوال متحسر على عجزه ومستمر المعاودة الى مجاهدته وقتاله * وذلك هو الجهاد الاكبر * ومهما اتقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى * وبالجملة فقد قصر عن البهيمة انسي لم يقاوم بقوة عقله شهوته وقد ايد بالعقل وحرم عنه البهيمة *ولذلك قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا

﴿ فصل ﴾

اعلم ان الحاجة الى الصبر عامة فى جميع الاحوال لان جميع

مايلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو عن نوعين * فانه اما ان يوافق هواه او يخالفه * فان وافق هواه كالصحة والسلامة والثروة والجاه وكثرة العشيرة فما احوجه الى الصبر معها فانه ان لم يضبط نفسه طغي واسترسل في التنعم واتباع الهوى ونسي المبتدى والمنتهى * ولذلك قالت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بلينا بفتنة الضراء فصبرنا * وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر * ولذلك قيل يصبر على البلاء كل مؤمن ولا يصبر على العافية الا صديق * ومعنى الصبر فيها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك وديعة عنده ويسترجع على القرب وان لا ينهمك في الغفلة والتنعم ويؤدي حق شكر النعمة * وذلك مما يطول شرحه ﴿ النوع الثاني ﴾ مايخالف الهوى وذلك اربعة اقسام ﴿ القسم الاول الطاعات ﴾ والنفس تنفر عن بعضها بمجرّد الكسل كالصلوة * وعن بعضها بالبخل كالزكوة * وعن بعضها بهما جميعا كالحج والجهاد والصبر على الطاعة من الشدايد ويحتاج المطيع الى الصبر في ثلاثة احوال ﴿ احديها ﴾ اول العبادة بتصحيح الاخلاص والصبر عن شوايب الرياء ومكايد

الشيطان ومكايد النفس وغرورها ﴿الثانية﴾ حالة العمل كيلا يتكاسل عن تحقيق أدائه بفروضه وسننه * ويوقع على شرط الادب مع حضور القلب ونفي الوسواس ﴿الثالثة﴾ بعد الفراغ وهو ان يصبر عن ذكره وافشائه للتظاهر به رياء وسمعة * وكل ذلك من الصبر الشديد على النفس ﴿القسم الثانى المعاصى﴾ وقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿المجاهد من جاهد هواه والمهاجر من هجر السوء﴾ والصبر عن المعاصى اشد لاسيما عن معصية صارت عادة مألوفة اذ يتظاهر فيه على بواعث الدين جندان ﴿جند الهوى وجند العادة﴾ فان انضم الى ذلك سهولة فعله وخفة المؤنة فيه لم يصبر عنها الا الصديق * وذلك كمعاصى اللسان فانها هينة سهلة * وذلك كالغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس ويحتاج فى دفع ذلك الى اشد انواع الصبر ﴿القسم الثالث﴾ مالا يرتبط باختيار العبد ولكن له اختيار فى دفعه وتداركه كالاذى الذي يناله من غيره بيد او لسان * فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يجب وتارة يستحب * قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان

الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى *قال الله عز وجل ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون *وقال الله تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله *وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴿ القسم الرابع ﴾ مالا يدخل اوله وآخره تحت الاختيار كالمصايب بموت الاعزة وهلاك الاموال والمرض وذهاب بعض الاعضاء وساير انواع البلاء والصبر عليه من اعلى المقامات قال ابن عباس رضى الله عنه الصبر في القرآن على ثلاث مقامات* صبر على اداء الفرائض وله ثلثماية درجة *وصبر على محارم الله تعالى وله ستماية درجة *وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى وله تسعماية درجة* وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشتك الى عواده[1] ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه *فان ابرأته ابدلته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي* وقال النبي عليه السلام قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة في بدنه او

(١) وفي النسخة الكردية ولم يشكني

فى ماله او ولده ثم استقبل بذلك بصبر جميل استحييتُ منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشرله ديوانا * وقال عليه السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة * وقال عليه السلام من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك * ولا تذكر مصيبتك فقد عرفت انك لا تستغنى عن الصبر فى جميع اوقاتك وبه يظهر انه شطر الايمان * وشطره الآخر فيما يتعلق بالاعمال وهو الشكر * فقد قال صلى الله عليه وسلم الايمان ﴿ نصفان نصف صبر ونصف شكر ﴾ وهذا باعتبار النظر الى الاعمال والتعبير بالايمان عنها

﴿ الاصل الخامس الشكر ﴾

وقد قال الله تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ وقال لئن شكرتم لازيدنكم * وقال واشكر والي ولا تكفرون * وقال وسيجزى الله الشاكرين * وقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم للطاعم الشاكر منزلة الصايم الصابر عند الله * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فى تهجده فقالت عايشة رضى الله عنها

ومايبكيك *وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا * وقال ينادى يوم القيمة ليقم الحامدون* فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة * فقيل ومن الحامدون * قال الذين يشكرون الله على كل حال * وقال الحمد رداء الرحمن *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان الشكر من المقامات العالية وهو أعلى من الصبر والخوف والزهد وجميع المقامات التى سبق ذكرها لانها ليست مقصودة فى انفسها * وانما تراد لغيرها * فالصبر يراد منه قهر الهوى والخوف سوط يسوق الخايف الى المقامات المقصودة المحمودة * والزهد هرب من العلايق الشاغلة عن الله تعالى * واما الشكر فمقصود فى نفسه ولذلك لا ينقطع في الجنة وليس فيها توبة ولا خوف ولا صبر ولا زهد * والشكر دايم فى الجنة — ولذلك قال الله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين * وتعرف ذلك بان تعرف حقيقة الشكر وانه ينتظم من علم وحال وعمل * اما العلم فالعلم بالنعمة والمنعم بان النعم كلها من الله تعالى وهو المنفرد

بجميعها * والوسايط كلهم مسخرون مقهورون * وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد فانهما داخلان فيه بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس * ثم اذا عرفت ذاتا مقدسة وعرفت انه لا مقدس الا واحد فهو التوحيد * ثم اذا علمت ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد والكل نعمة منه خاصة فهو الحمد * والى هذا الترتيب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال ﴿ سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة ﴾ وهذا لان التقديس والتوحيد داخلان فى الحمد وزيادة * وهذه الدرجات بازاء هذه المعارف * واما حركة اللسان ففضلها بحسب صدورها عن المعرفة او تجديدها للاعتقاد فى القلب * فان الفم آلة لازالة الغفلة لينمحي اثرها ﴿ واعلم ﴾ انك اذا اعتقدت ان لغير الله دخلا فى النعمة الواصلة اليك لم يصح حمدك ولم تتم معرفتك وشكرك * وكنت كمن يخلع عليه الملِكُ وهو يرى ان لعناية الوزير دخلا فى خلعة الملك او فى ايصالها اليه او فى تيسيرها * وكل ذلك اشتراك في النعمة ويتوزع فرحك فى

النعمة عليهما *نعم لو رأيت الخلعة الواصلة اليك بتوقيع الملك بقلمه فذلك لا يقصر من شكرك لانك تعلم ان القلم مسخر له لا دخل له في النعمة بنفسه *ولذلك لا يلتفت قلبك الى الفرح بالقلم والشكر له* ولذلك قد لا يلتفت الى الخازن والوكيل اذ يعلم انهما مضطران الى العطاء بعد الامر مسخران لا مدخل لهما بانفسهما في النعمة * فكذلك من انفتحت بصيرته علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر الله تعالى كالقلم والكاغذ والحبر في التوقيع* وان قلوب الخلق خزائن الله تعالى ومفاتيحها بيد الله عز وجل فيفتحها بان يسلط عليها دواعي جازمة حتى يعتقد ان خيرها في البذل مثلا*وعند ذلك لا يستطيع ترك البذل فيكون مضطرا الى الاختيار لما سلط عليه من دواعي الاختيار فانه لا يعطيك احد شيئا الا لغرض نفسه ليستفيد به في الآجل ثوابا او في العاجل ثناء وذكرا او غير ذلك* ومالم يعلم ان منفعته في منفعتك فلا يعطيك*فاذا ليس هو منعما عليك اذ يسعى لنفسه *انما المنعم عليك من سخره وسلط هذه الدواعي عليه * وقرر في نفسه ان غرضه منوط بالاداء

والانعام *فان عرفت الامور كذلك كنت موحدا وتصور منك الشكر بل هذه المعرفة هي عين الشكر* قال موسى عليه السلام فى مناجاته الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك * قال علم ان ذلك منى فكان معرفة ذلك شكرا * ﴿ الركن الثانى ﴾ الحال المستثمرة من المعرفه وهي الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والاجلال * ومن يرسل اليه بعض الملوك فرسا فيتصور ان يفرح به من ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ من حيث انه ينتفع بالفرس اومن حيث يستدل به على عناية الملك بشأنه وانه سينعم عليه بما هو اعظم منه او من حيث ان الفرس يكون مركبا له حتى يسافر الى حضرة الملك ويخدمه* والاول ليس من الشكر فى شئ فانه فرح بالنعمة لا بالمنعم ﴿والثانى﴾ داخل فى الشكر شيئا لكنه ضعيف بالاضافة الى الثالث *فكمال الشكر ان يكون الفرح بما يفتح الله تعالى من نعمه لا بالنعمة من حيث هي نعمة بل بها من حيث انها وسيلة اليه اذ بنعمته تتم الصالحات * وعلامة هذا ان لا يفرح بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى بل يغتم بها ويفرح

بما زوى الله تعالى عنه من شغل الدنيا وفضولها * وهذا اكمل الشكر * فمن لم يستطع فعليه بالثانى ﴿ واما الاول ﴾ ففرح بالنعمة لا بالمنعم وليس ذلك من الشكر فى شئ ﴿ الركن الثالث ﴾ العمل وذلك بان يستعمل نعمه في محابه لا فى معاصيه * وهذا لا يقوم به الا من يعرف حكمة الله تعالى في جميع خلقه وانه لماذا خلق كل شئ * وشرح ذلك يطول * وقد ذكرنا منه طرفا فى الاحياء * وجملته ان تعلم مثلا ان عينه نعمة منه * فشكرها ان يستعملها في مطالعة كتاب الله وكتب العلم ومطالعة السموات والارض ليعتبر بها ويعظم خالقها وان يستر كل عورة يراها من المسلمين ويستعمل اذنه في سماع الذكر وما ينفعه فى الآخرة ويعرض عن الاصغاء إلى الهجو والفضول * ويستعمل اللسان فى ذكر الله تعالى والحمد له فى اظهار الشكر منه دون الشكوى * ومن سئل عن حاله فشكى فهو عاص لانه شكى ملك الملوك الى عبد ذليل لا يقدر على شئ فان شكر فهو مطيع * واما شكر القلب فاستعماله فى الفكر والذكر والمعرفة واضمار الخير للخلق

وحسن النية * وكذلك في اليد والرجل وساير الاعضاء والاموال وغير ذلك مما لا ينحصر *

﴿ فصل ﴾

اعلم أنه انما يتمكن في كمال الشكر من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يرى في كل شيء حكمته وسره ومحبوب الله فيه * ومن لم ينكشف له ذلك فعليه باتباع السنة وحدود الشرع فتحتها اسرار الشكر * وليعلم انه لو نظر الى غير محرم مثلا فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس وكل نعمة لا يتم النظر اليها الا بها فان الابصار انما يتم بالعين ونور الشمس والشمس انما تتم بالسموات فكانه كفر أنعم الله تعالى في السموات والارض * وقس على هذا كل معصية فانها انما تتمكن باسباب تستدعي وجود جميعها خلق السموات والارض * ولهذا غور عميق اشرنا اليه في كتاب الشكر من كتاب الاحياء ويكفيك ههنا مثال واحد وهو ان الله تعالى خلق الدراهم والدنانير لتكون حاكمة في الاحوال كلها يقدر بها القيم ولولاها لتعذرت المعاملات اذ لا يدري كيف يشتري الثياب بالزعفران

والدواب بالاطعمة فانها لا مناسبة بينهما * وانما يشتركان في روح المالية * ومعيار مقدار ارواحهما هو النقدان فمن كنزهما كان كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت الاحكام * ومن اتخذ منهما آنية كان كمن استعمل حاكما من حكام المسلمين فى الحياكة والفلاحة التي يقدر عليها كل احد حتى يتعطل الحكم وذلك اشد من الحبس * ومن اربى فيهما وجعلهما مقصد تجارته بالمصارفة بين جيدهما ورديهما كان كمن شغل الحاكم عن الحكم فاتخذه سخرة لنفسه ليحتطب له ويكنس له ويكتسب له القوت * وكل ذلك ظلم وتغيير لحكم الله عز وجل في خلقه وعباده ومعادات الله تعالى فى محابه * ومن لا ينكشف له بنور البصيرة هذه الاسرار عرف على لسان الشرع صورته دون معناه * وقيل له ﴿الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم﴾ الى قوله تعالى يكنزون * وقيل من شرب فى اناء من ذهب او فضة فكانما يجرجر فى بطنه نار جهنم * وقيل الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان

من المس الآيه * فالصالحون يقفون على الحدود ولا يعرفون أسرارها * والعارفون اذا اطلعوا على الاسرار بانفسهم وشاهدوا شواهد الشرع ازدادوا نوراً على نور * والعميان الجاهلون يحرمون الوقوف على الحدود والعثور على الاسرار جميعا فلاهم كعبيد أتقياء ولا كاحرار كرام * وهم الذين قال فيهم ولكن حق القول مني الآيه * وقال تعالى ﴿أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ الآيه * وقال ﴿ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا﴾ الى قوله ﴿فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ وآيات الله حكمته في خلقه * وقد ألقيت الى الخلق على لسان الانبياء صلوات الله عليهم كما فصلت في جملة الشريعة من أولها الى آخرها * وما من حد من حدود الشرع الا وفيه سر وخاصية وحكمة يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهلها * وشرح ذلك طويل فليطلب من كتاب الشكر * ولا يتصور تمام الشكر الا ممن قام لله تعالى وحده مخلصا لا رغبة فيه لغيره * فلنذكر الاخلاص والصدق *

﴿ الاصل السادس الاخلاص والصدق ﴾

اعلم ان الاخلاص حقيقة وأصلا وكمالا * فهذه ثلاثة أركان * وأصله النية اذ فيها الاخلاص * وحقيقته نفي الشوب عن النية وكماله الصدق ﴿ الركن الاول النية ﴾ وقد قال الله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ ومعنى النية ارادة وجهه * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ انما الاعمال بالنيات ﴾ الحديث وقال ان الملائكة ترفع صحيفة عمل العبد فيقول الله تعالى ألقوها فانه لم يرد بها وجهي * واكتبوا له كذا وكذا * فيقول الملائكة انه لم يعمل منها شيئا فيقول الله عز وجل انه نواه انه نواه * وقال صلى الله عليه وسلم الناس أربعة * رجل أتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله * فيقول رجل لو أتاني الله ما أتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء * ورجل أتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط بجهله في ماله * فيقول رجل لو أتاني الله تعالى ما أتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء * فقال عليه السلام من غزى ولا ينوي الا عقالا فله مانوى * ويقال ان رجلا في

بنى اسرائيل مرّ بكثبان رمل في أيام قحط *فقال فى نفسه لو كان لى هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى الى نبيهم * قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وشكر حسن نيتك وأعطاك ثواب مالو كان طعاما فتصدقت به * وقال عليه السلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل مابال المقتول *فقال أراد قتل صاحبه * وقال عليه السلام من تزوج امرأة على صداق وهو لاينوى اداءه فهو زان ومن أدان دينا وهو لاينوى قضاه فهو سارق *

﴿ فصل ﴾

حقيقة النية هى الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة وبيانه ان جميع أعمالك لاتصح الا بقدرة وارادة وعلم * والعلم يهيج الارادة * والارادة باعثة للقدرة *والقدرة خادمة الارادة بتحريك الاعضاء * مثاله انه خلق فيك شهوة الطعام الا انها قد تكون فيك راكدة كأنها نائمة *واذا وقع بصرك على طعام حصلت المعرفة بالطعام فانتهضت الشهوة للطعام فامتدت اليه اليد وانما امتدت اليد بالقوة التى فيها المطيعة لاشارة الشهوة

وانتهضت الشهوة بحصول المعرفة المستفادة من طليعة الحس وكما خلق فيك شهوة الى الاشياء الحاضرة خلق فيك أيضا ميل الى اللذات الآجلة ينتهض ذلك الميل باشارة المعرفة الحاصلة من العقل ﴿والقدرة﴾ أيضا تخدم هذا الميل بتحريك الاعضاء * فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة والذى يغزو قد يكون الباعث له ميل الى المال فذلك نيته * وقد يكون الباعث ميل الى ثواب الآخرة فذلك نيته * فاذا النية عبارة عن الارادة الباعثة * ومعنى اخلاصها تصفية الباعث عن الشوب

﴿فصل﴾

اذا حصل العمل بباعث النية فالنية والعمل بهما تمام العبادة فالنية أحد جزئى العبادة لكنها خير الجزئين لان الاعمال بالجوارح ليست مرادة الا لتأثيرها في القلب ليميل الى الخير وينفر عن الشر فيتفرغ للفكر والذكر الموصولين له الى الانس والمعرفة اللذين هما سبب سعادته فى الآخرة * فليس المقصود من وضع الجبهة على الارض وضع الجبهة على الارض بل خضوع القلب ولكن القلب يتأثر بأعمال الجوارح * وليس

المقصود من الزكاة ازالة لملك بل ازالة رذيلة البخل وهو قطع علاقة القلب من المال * وليس المقصود من الضحية لحومها ولا دماؤها ولكن استشعار القلب للتقوى بتعظيم شعائر الله تعالى والنية عبارة عن نفس ميل القلب الى الخير فهو متمكن من حدقة المقصود فهو خير من عمل الجوارح الذى انما يراد منه سراية أثره الى محل المقصود وهو القلب * ولذلك يورث جميع أعمال القلب دون الجوارح فيه اثرا ما * وعمل الجارحة دون حضور القلب هباء ولا اثر له * ومهما قصد معالجة المعدة بما يصل من الادوية بالشرب اليها انفع لا محالة مما يطلى به ظاهر المعدة ليسرى اليها اثره * وكذلك اذا لم يسر اثر الطلاء الى المعدة كان باطلا * وبهذا التحقيق يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ نية المؤمن خير من عمله ﴾

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت فضل النية وانها تحل حدقة المقصود فيؤثر فيها فاجتهد ان تستكثر من النية فى جميع اعمالك حتى تنوى بعمل واحد نيات كثيرة * ولو صدقت رغبتك هديت لطريقه

ويكفيك مثال واحد وهو ان الدخول في المسجد والقعود فيه عبادة * ويمكن ان تنوي فيه ثمانية امور ﴿ اولها ﴾ ان يعتقد انه بيت الله عز وجل وان داخله زائرا لله تعالى فتنوى ذلك * قال عليه السلام من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى * وحق على المزور اكرام زائره ﴿ وثانيها ﴾ نية المرابطة لقول الله تعالى وصابروا ورابطوا * وقيل معناه انتظار الصلوة بعد الصلوة ﴿ وثالثها ﴾ الاعتكاف * ومعناه كف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات المعتادة فانه نوع صوم * قال صلى الله عليه وسلم رهبانية امتى القعود في المساجد * ﴿ ورابعها ﴾ الخلوة ودفع الشواغل لازوم السر للفكر في الآخرة وكيفية الاستعداد لها ﴿ وخامسها ﴾ التجرد للذكر وسماعه او اسماعه لقوله صلى الله عليه وسلم * من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى ﴿ وسادسها ﴾ ان يقصد افادة علم وتنبيه من يسئ الصلوة ونهيا عن منكر وامرا بمعروف حتى يتيسر بسببه خيرات ويكون شريكا فيها ﴿ وسابعها ﴾ ان تترك الذنوب حياء

من الله عز وجل بان يحسن نيته في نفسه وقوله وعمله حتى يستحي منه من رآه ان يقارف ذنبا ﴿وثامنها﴾ ان تستفيد أخاً في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة لدار الآخرة * والمسجد يعشش اهلَ الدين المحبين لله وفي الله * وقس على هذا ساير الاعمال فباجتماع هذه النيات تزكو الاعمال وتلتحق باعمال المقربين كما انه بتقيضها يلتحق باعمال الشياطين كمن يقصد من القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكه باعراض الناس ومجالسة اخد ان اللهو واللعب وملاحظة من يجتاز به من النسوان والصبيان ومناظرة من ينازعه من الاقران على سبيل المباهات والمرايات باقتناص قلوب المستمعين لكلامه وما يجرى مجراه * وكذلك لا ينبغي ان يغفل في المباحات عن حسن النية * ففي الخبر ان العبد يسئل يوم القيمة عن كل شئ حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه ﴿ومثال النية﴾ في المباحات ان من يتطيب يوم الجمعة يمكنه ان يقصد التنعم بلذته والتفاخر باظهار ثروته او التزويق للنساء واخد ان الفساد * ويتصور ان ينوي اتباع السنة وتعظيم

بيت الله تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع الاذى عن غيره بدفع الرايحة الكريهة وايصال الراحة اليهم بالرايحة الطيبة وحسم باب الغيبة اذا شموا منه رايحة كريهة * والى الفريقين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من تطيب في الله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من ريح المسك * ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان النية لاتدخل تحت الاختيار فلا ينبغي ان تغتر فتقول بلسانك وقلبك نويت من القعود في المسجد كذا وكذا * وتظن انك قد نويت اذ عرفت من قبل ان النية هي الباعث المتحرك الذي لولاه لم يتصور وجود العمل * والنية المتكلفة كقول القائل نويت ان احب فلانا واعشقه واعظمه اونويت ان اعطش او اجوع او اشبع فان لكل هذه دواعي وصوارف وتحققها اسبابها اذلا يتصور حصولها دون اسبابها * وقول القائل نويتها قبل تحققها حديث نفس لا نية * فمن وطئ لغلبة شهوة الوقاع من اين ينفعه قوله نويت الوطئ لحراثة الولد

وتكثير عدد من به المباهات بل لا تظفر بانبعاث هذه النيات من قلبك الا اذا قوى ايمانك وتمت معرفتك بحقارة الحظوظ العاجلة وعظم ثواب الآخرة حتى اذا غلب ذلك عليك انبعث منك الرغبة ضرورة في كل ماهو وسيلة الى ثواب الآخرة وان لم ينبعث فلا نية لك * ولمثل هذا توقف السلف في جملة من الخيرات حتى روي ان محمد بن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري * وقال ليس تحضرني النية * وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجدله نية * وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي نية بعد * ومن عرف حقيقة النية وعلم انها روح العمل فلا يتعب نفسه بعمل لا روح له ويحقق ذلك ان المباح قد يصير افضل من العبادة اذا حضرت فيه نية فمن له نية في الاكل والشرب ليقوى على العبادة وليس تنبعث له نية الصوم في الحال فالاكل اولى له * ومن مله العبادة وعلم انه لو نام لعاد نشاطه فالنوم افضل له * بل لو علم مثلا ان الترفه بدعابة وحديث مزاح في ساعة يرد نشاطه فذلك افضل له من الصلوة مع الملال * قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل

حتي تملوا * وقال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق * وقال علي رضي الله عنه روّحوا النفوس فانها اذا أكرهت عميت * وهذه دقايق يستثقلها الظاهريون من الفقهاء كما يستثقل الطبيب الضعيف من الاطباء معالجة المحرور باللحم * والحاذق منهم قد يأمر به ليعود قوة المريض حتى يحتمل الدواء النافع بعده ﴿الركن الثاني﴾ في اخلاص النية وقد قال الله تعالى ﴿وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ وقال الله تعالى ﴿الا لله الدين الخالص﴾ وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله * وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ﴿الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي﴾ وقال عليه السلام لماذا أخلص العمل يجزك القليل منه * وقال عليه السلام ﴿مامن عبد يخلص العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه﴾ *

﴿فصل﴾

حقيقة الاخلاص تجرد الباعث الواحد ويضاده الاشراك

وهو ان يشترك الباعثان وهو كل مايتصور ان يمازجه غيره فان صفا من كل شوب منه يسمى خالصاً * وقد عرفت ان النية هي الباعث * فمن لا يعمل الا للرياء فهو مخلص * ومن لا يعمل الا لله فهو مخلص ولكن خصص الاسم باحد الجانبين بالعادة كالالحاد فانه ميل ولكن خصص بالميل الى الباطل وزوال الاخلاص بشوائب الرياء قد ذكرناه ولكن قد يزول ايضا باغراض أخر فان الصايم قد يقصد مع العبادة ان ينتفع بالحمية الصالحة الحاصلة بالصوم * وقد يقصد المعتق ان يتخلص بالعتق من مؤنة العبد وسوء خلقه * والحاج يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او يهرب من مشقة تعهد العيال او من ايذاء الاعداء او من التبرم [1] بالمقام مع الاهل * والمتعلم يتعلم العلم ليسهل عليه طلب المعاش او يكون محروسا بعز العلم عن الظلم او يكتب مصحفا ليجود خطه او يحج ماشياً ليخفف مؤنة الكراء او يتوضأ ليتنظف او يتبرد او يغتسل لتطيب رائحته او يعتكف ليخفف عليه كراء المسكن او يصوم ليخفف عن نفسه تعب الطبخ

(١) التبرم من برم مثل ضجر ضجرا وزنا ومعنى ويتعدى بالهمزة

وشراء الطعام او يتصدق ليدفع عن نفسه ابرام السائل او يعود مريضا ليعاد اذا مرض * فهذه الاغراض قد يتجرد وقد يشوب قصد العبادة شوبا خفيا * فاذا خطر شئ من هذه الاغراض في الفعل فقد ذهب الاخلاص وذلك عسير جداً * ولذلك قال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن ذلك عزيز * وقال ابو سليمان الداراني طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله عز وجل * وكان معروف الكرخي يضرب نفسه * ويقول يانفسي اخلصي تتخلصي *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان امتزاج هذه الشوائب على مراتب فانها قد تغلب وقد تكون مغمورة * وقد تكون مساوية لقصد العبادة ولا تمحو اصل الثواب في المباحات ومهما بقي شوب من ارادة الله عز وجل فله ثواب بقدر ذلك الشوب والباقي لا ثواب عليه * فاما اذا كان في العبادة أمر بان يخلصها لله تعالى فان كان الشوب غالبا بطلت العبادة وان كان مساويا او مغلوبا بطل الاخلاص ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وحصول اصلها

على انتفاء الشوائب كلها فيه نظر اشرنا اليه في الرياء * ويطلب استقصاؤه من كتاب الاحياء ﴿ الركن الثالث الصدق ﴾ وهو كمال الاخلاص قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية * وقال النبي عليه السلام ان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا * وقال الله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صدّيقا نبيا * ويكفي بفضيلة الصدق ان يدرك به فضيلة الصديقين ﴿ واعلم ﴾ ان للصدق مراتب ستا من بلغ في جميعها بلغ رتبة الكمال استحق اسم الصدق ﴿ اولها الصدق في القول ﴾ في جميع الاحوال مايتعلق بالماضي والمستقبل والحال * ولهذا الصدق كمالان ﴿ احدهما ﴾ الحذر عن المعاريض ايضا فانه وان كان صدقا في نفسه فيفهم خلاف الحق * والمحذور من الكذب تفهيم خلاف الحق اذ يكتسب القلب صورة معوجة كاذبة بازاء كذب اللسان * واذا مال وجه القلب من الصحة الى الاعوجاج لم يتجلى الحق له على الصحة حتى لا يصدق رؤياه ايضا * والمعاريض لا توقع في هذا المحذور لانه صدق في نفسه لكن توقع في المحذور ﴿ الثاني ﴾ وهو تجهيل

المعنى فلا ينبغي ان يفعل ذلك الا لغرض صحيح ﴿وكماله الثاني﴾ ان يرعى الصدق فى أقاويله مع الله تعالى فاذا قال ﴿ وجهت وجهي﴾ وفي قلبه في تلك الحالة شئ سوى الله عز وجل فهو كاذب واذا قال﴿اياك نعبد﴾وهو مع ذلك عبد الدنيا او لنفسه او لغيره لم يمكنه تحقيق صدق هذه الكلمة فى القيامة ولذلك قال عيسى عليه السلام ياعبيد الدنيا * وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم والدينار﴿ الصدق الثاني﴾ في النية وهو ان يتمحض فيه داعية الخير فان كان فيه شوب فقد فات الصدق لله يقال هذا صادق الحموضة وصادق الحلاوة اذا كان محضا *فيرجع هذا الى نفس الاخلاص﴿ والصدق الثالث ﴾ فى العزم فان العبد قد يعزم على التصدق ان رزق مالا وعلى العدل ان رزق ولاية وعزمه تارة يكون مع ضعف وتردد وتارة يكون جزما قويا لاتردد فيه *فالجزم القوي يسمى قويا صادقا كما وجده عمر من نفسه رضى الله عنه حيث قال لان اقدم فيضرب عنقي احب اليّ من ان اتأمر على قوم فيهم ابو بكر رضى الله عنه *ودرجات عزم الصديقين فى القوة

قد تتفاوت وأقصاها ان ينتهي الى الرضاء بضرب الرقبة دون الحقيقة ﴿ والصدق الرابع ﴾ الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم اولا ولكن عند الوفاء ربما تتوانا عن كمال التحقيق لان المؤنة في العزم هين * وانما الشدة في التحقيق — ولذلك قال تعالى ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ وقال ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الى قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴿ الصدق الخامس ﴾ في الاعمال بان يكون بحيث لا يدل على شيء من الباطن الا والباطن متصف به * ومعناه استواء السريرة والعلانية فالماشي على هُدُوّ يدل بحكمه على انه ذو وقار في باطنه فان لم يكن كذلك في الباطن والتفت قلبه الى ان يخيل الى الناس انه ذو وقار في باطنه فذلك الرياء * وان لم يلتفت الى الخلق قلبه ولكنه غافل فليس ذلك برياء ولكن يفوت به الصدق — ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل لي علانية صالحة ﴾ وقال عبد الواحد كان الحسن البصري اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به

واذا نهي عن شئ كان من اترك الناس له ولم ارقط احداً أشبه سريرته بعلانيته منه ﴿الصدق السادس﴾ وهو أعلى ابوابه الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجاء والحب والرضاء والتوكل وغيرها فان لهذه المقامات اوايل ينطلق الاسم بها ولها حقايق وغايات اذ يقال هذا هو الخوف الصادق وهي الشهوة الصادقة ـ ولذلك قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون * وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا الآية * فهذه درجات الصدق فمن تحقق في جميعها فهو صديق ومن لم يصب بعضها فمرتبته بقدر صدقه ومن جملة الصدق تحقيق القلب بان الله هو الرزاق والتوكل عليه فلنذكره

﴿ الاصل السابع في التوكل ﴾

قال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون * وقال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين * وقال ان الله يحب المتوكلين وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه * وقال اليس الله بكاف عبده * وقال ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم

رزقا فابتغوا عند الله الرزق * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا[1] وقال من انقطع الى الله كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب * ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها * وكان رسول الله اذا أصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا أمرني ربي فقال وامر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى *

﴿ فصل ﴾

حقيقة التوكل عبارة عن حالة يصدر عن التوحيد * ويظهر اثرها على الاعمال فهي ثلاثة اركان * المعرفة والحال والعمل ﴿الركن الاول المعرفة﴾ وهي الاصل واعني بها التوحيد فانها انما يتوكل على الله من لا يرى فاعلا سوى الله * وكمال هذه المعرفة يترجمه قولك ﴿لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير﴾ اذ فيه ايمان بالتوحيد وكمال القدرة والجود والحكمة التي يستحق بها الحمد فمن قال ذلك صادقا مخلصا فقد تم توحيده وثبت

[1] والبطنة الامتلاء الشديد من الطعام والخميصة الجوع

فى قلبه الاصل الذي منه ينبعث حال التوكل واعنى بالصدق فيه ان يصير معنى القول وصفا لازما لذاته غالبا على قلبه لايتسع لتقدير غيره

﴿ فصل ﴾

هذا التوحيد له لبان وقشر ان وطباقه اربع كاللوز له لبٌ ثم الدهن لب لبه * والقشرة العليا قشر قشره ﴿ فالقشرة العليا ﴾ القول باللسان المجرد ﴿ الثانية ﴾ الاعتقاد بالقلب جزما وهو درجة عوام الخلق ودرجة المتكلمين اذ لا يتميزون عن العوام الا بمعرفة الحيلة في دفع تشويش المبتدعة عن هذه الاعتقادات ﴿ الثالثة ﴾ وهى اللب ان ينكشف بنور الله عز وجل حقيقة هذا التوحيد وسره بالحقيقة * وذلك بان يرى الاشياء الكثيرة ويعلم انها بجملتها صادرة عن فاعل واحد على الترتيب * وذلك بان يعرف سلسلة الاسباب وكيفية تسلسلها وارتباط اول السلسلة بمسبب الاسباب * وصاحب هذا المقام بعد فى تفرقة لانه يرى الافعال وكثرتها وارتباطها بالفاعل ﴿ الرابعة ﴾ وهو لب اللب ان لا يرى فى الوجود الا واحدا او يعلم ان الموجود بالحقيقة واحد وانما الكثرة فيه فى حق من تفرق نظره كالذي يرى

من الانسان مثلا رجله ثم يده ثم وجهه ثم رأسه فيغلب عليه كثرته فان رأى الانسان جملة واحدة لم يخطر بباله الآحاد بل كان كمدرك الشيء الواحد* فكذلك الموحد لا يفرق نظره بين السماء والارض وسائر الموجودات بل يرى الكل في حكم الشيء الواحد* وهذا له غور ويستدعي كشفه تطويلا فاطلبه من كتاب التوحيد والشكر من كتب الاحياء لتقف على تلويحات منه * والفناء في التوحيد انما يقع في هذا التوحيد وذلك بان يصير مستغرقا بالواحد الحق حتى لا يلتفت قلبه الى غيره ولا الى نفسه فان نفسه من حيث هي نفسه غير الله وان لم يتحقق له معنى الغيرية بنظر آخر واعتبار على وجه آخر

﴿ فصل ﴾

حقيقة التوكل انما يستدعي توحيد الفعل ولا يستدعي الفناء في توحيد الذات بل المتوكل يجوز ان يرى الكثرة والاسباب والمسببات ولكن ينبغي ان يشاهد ارتباط السلسلة بمسببها وما عندي ان ذلك يخفى عليك فيما يدخل فيه اختيار الآدميين فانك ان رأيت المطر سببا في النبات فتعلم ان المطر مسخر بواسطة

الغيم * والغيم مسخر بواسطة الريح وابخرة الجبال * وكذلك الجبال جمادات مسخرة الى ان ينتهي الى الاول لامحالة * وان كنت لاتعرف عدد الوسايط فلا يضرك ذلك وانما الذي يخفى عليك افعال الآدميين فانك تقول من اطعمني طعاما فانما يطعمني باختياره ان شاء اعطى وان شاء منع فكيف لاأراه فاعلا * وانما مثلك فى الالتفات اليه مثل النملة ترى سواد الخط على البياض يحصل من حركة القلم فتضيف ذلك الى القلم اذ حدقتها الصغيرة الضعيفة لاتمد الى الاصبع * ومنها الى اليد * ومنها الى القدرة المحركة لليد * ومنها الى الارادة التي القدرة مسخرة لها * ومنها الى المعرفة التي يتوقف انبعاث الارادة وانجزامها عليها * ومنها الى صاحب القدرة والعلم والارادة فكذلك انت تضيف افعال العباد الى ارادتهم ومعرفتهم وقدرتهم اذ ليس يمتد نظرك الى القلم الذي ينسطر المعرفة به في الواح القلوب * ومنه الى الاصابع التي ينتهي الى قلوب العباد * ومنها الى اليد التي بها خمرت طينة آدم * ومنها الى القدرة التي بها يتحرك اليد لتخمير الطينة * ومنها الى القادر الذي منه

يبدوا واليه يعود * وذلك لأنك لا تعرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته * ولا معنى قوله تعالى خمرتُ طينةَ آدم بيدي * ولا معنى قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم كلا ان الانسان ليطغى * فانك لا تعلم قلما الا من قصب ولا يدا ولا اصابع الا من لحوم وعظام ولا صورة الا للالوان والاشكال * فان انكشف لك ذلك علمت انك اذ رميت ما رميت ولكن الله رمى * حيث سلط عليك دواعي جازمة ومعرفة حاكمة على القطع بان نجاتك في الرمي مثلا حتى انبعثت القدرة التي انفرد بخلقها خادمة الارادة * والمعرفة خادمة بالتسخير والاضطرار علمت انك مضطر الى عين الاختيار فتفعل ان شئت ذلك وتشاء اذا شاء الله شئت ام ابيت * وهذا الآن فيه سرّ يحرّك قاعدة الجبر والاختيار ويوهم تناقض التوحيد وتكليف الشرع * وقد شرحناه في كتاب التوحيد والتوكل والشكر من كتب الاحياء * فاطلبه منه ان كنت من اهله *

﴿ فصل ﴾

لا يكفي الايمان بتوحيد الفعل والذات في اثارة حالة التوكل

حتى ينضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذ به تحصل الثقة بالوكيل الحق وهو ان يعتقد جزما او ينكشف لك بالبصيرة ان الله تعالى لو خلق الخلايق كلهم على عقل أعقلهم بل على أكمل مايتصور ان يكون عليه حال العقل * ثم زادهم اضعاف ذلك علما وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت ولطايف الحكمة ودقايق الخير والشر * ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت لما دبروه باحسن مما هو عليه ولم يمكنهم ان يزيدوا عليه او ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا البتة دفع مرض وعيب ونقص وفقر وضر وجهل وكفر ولا ان يغيروا قسمة الله تعالى من رزق واجل وقدرة وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلا محضا لاجور فيه * وحقا صرفا لانقص فيه * واستقامة تامة لاقصور فيها ولا تفاوت بل كل مايرون نقصا فيرتبط به كمال آخر أعظم منه وما ظنوه ضررا فتحته نفع اعظم منه لايتوصل الى ذلك النفع الا به * وعلموا قطعا ان الله تعالى حكيم جواد رحيم لم يبخل على الخلق اصلا ولم يدخر فى اصلاحهم امرا

وهـذا الآن بحر آخر في المعرفـة يحرّك امواجه سرّ القدر الذي منع من ذكره المكاشفون * وتحير فيه الاكثرون ولا يعقله الا العالمون * ولا يدرك تأويله الا الراسخون * وان حظ العوام ان يعتقدوا ان كل مايصيبهم لم يكن ليخطئهم وما يخطئهم لم يكن ليصيبهم وان ذلك واجب الحصول بحكم المشية الازلية وانه لاراد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر * وحصوله بقدر معلوم منتظر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ﴿الركن الثاني﴾ حال التوكل ومعناه ان تكل امرك الى الله عز وجل ويثق به قلبك وتطمئن بالتفويض اليه نفسك ولا تلتفت الى غير الله اصلا * ويكون مثالك مثال من وكّل في خصومته فى مجلس القاضي من علم انه اشفق الناس عليه واقواهم في كشف الباطل واعرفهم به واحرصهم عليه فانه يكون ساكنا في بيته مطمئن القلب غير متفكر فى كل الخصومة غير مستعين بآحاد الناس لعلمه بان وكيله حسبه وكافيه في غرضه وانه لايقاومه غيره * فمن تحققت معرفته بان الرزق والاجل والخلق والامر بيد الله تعالى وهو منفرد به

لاشريك له وان وجوده وحكمته ورحمته لانهاية لها ولا يوازيها رحمة غيره وجوده اتكل قلبه بالضرورة عليه وانقطع نظره عن غيره فان لم ينقطع فلا يكون ذلك الا لاحد امرين ﴿أحدهما﴾ ضعف اليقين بما ذكرناه *وضعف اليقين انما يكون لتطرق شك اليه او لعدم استيلائه على القلب * فان الموت يقين لاشك فيه ولكنه اذ لايستولي على القلب فهو كشك لايقين فيه ﴿الامر الثاني﴾ ان يكون القلب فى الفطرة جبانا ضعيفا *فالجبن والجراءة فطرتان والجبن يوجب كون النفس مطيعة لاوهام لاشك فى بطلانها حتى قد يخاف الانسان ان يبيت مع الميت فى فراش او فى بيت مع علمه بان الله لايحييه وان قدرته عليه كقدرته على ان يقلب في يده العصا حية وهو لايخاف ذلك بل قد يشبه العسل بالعذرة فيتعذر عليه تناوله مع علمه بانه تشبيه كاذب *وذلك لحور النفس وطاعة الاوهام *فكما لايخلو الانسان عن شئ منه وان ضعف فكذلك لا يبعد ان يحصل اليقين بالتوحيد بحيث لايخالجه ريب ومع ذلك فيفرغ القلب الى الاسباب *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت أن التوكل عبارة عن حالة القلب فى الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات الى غيره ﴿ فاعلم ﴾ أن فيه ثلاث درجات ﴿ احداها ﴾ ما ذكرناه وهو كالثقة بالوكيل في الخصومة بعد اعتقاد كماله فى الهداية والقدرة والشفقة ﴿ الثانية ﴾ وهي أقوى منها تضاهي حالة الصبيّ في ثقته بامه وفزعه اليها فى كل مايصيبه وذلك لثقته بشفقتها وكفالتها ولكنه فى توكله فانٍ عن توكله فانه ليس يحصله بفكر وكسب وان كان لايخلو توكله عن نوع ادراك * وأما التوكل على الوكيل بالخصومة فكالمكتسب بالفكر والنظر ﴿ والثالثة ﴾ وهي الاعلى أن يكون بين يدى الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فانه يزعق بامه ويتعلق بذيلها بل هذا كالصبي علم انه وان لم يزعق بامه فانها تطلبه وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان لم يسألها اللبن فهي تبتدي بارضاعه فيكون هذا الشخص فى حق الله عزّ وجلّ ساقط الاختيار لعلمه بانه مجرى القدر فلا يبقى فيه متسع لغير الانتظار لما يجرى عليه * وهذا المقام يأبى الدعاء والسؤال ولا يمتنع الدعاء

في المقام الثاني والاول * ويمتنع التدبير في المقام الاخير ويمتنع في الثاني أيضاً الا في التعلق بالوكيل فقط * وفي الاول يمتنع التدبير بالتعلق بغيره ولا يمتنع بالطريق الذى رسمه الوكيل وسنه له وأمره به *

﴿ الركن الثالث في الاعمال ﴾

وقد يظن الجهال ان شرط التوكل ترك الكسب وترك التداوي والاستيلام للمهلكات ـ وذلك خطأ لان ذلك حرام في الشرع والشرع قد أثنى على التوكل وندب اليه فكيف ينال ذلك بمحظوره * وتحقيقه ان سعى العبد لا يعدو أربعة أوجه وهو جلب ماليس بموجود من المنفعة أو حفظ الموجود أو دفع الضرر كيلا يحصل أو قطعه كى يزول ﴿ الاول ﴾ جلب النافع وأسبابه ثلاثة * اما مقطوع به واما مظنون ظناً غالباً ظاهراً يوثق به أو موهوم * أما المقطوع به فمثاله أن لا تمتد اليد الى الطعام وهو جائع ويقول هذا سعيٌ وأنا متوكل أو يريد الولد ولا يواقع أهله أو يريد الزرع ولا يبث البذر ـ وهذا جهل لان سنة الله تعالى لا يتغير * وقد عرفك ان ارتباط هذه

المسببات بهذه الاسباب من السنة التى لاتجد لها تبديلا * وانما التوكل فيه بامرين ﴿ أحدهما ﴾ ان تعلم أن اليد والطعام والبذر وقدرة التناول وجميع ذلك من قدرة الله تعالى ﴿ والثاني ﴾ أن لا يتكل عليها بقلبه بل على خالقها وكيف يتكل على اليد * وربما يفلج فى الحال أو يهلك الطعام * وذلك تحقيق قولك لاحول ولا قوة الا بالله * فالحول هي الحركة * والقوة هى القدرة * فاذا كان هذا حالك فانت متوكل وان سعيت * وأما المظنون فكاستصحاب الزاد في البوادى والاسفار فليس تركه شرطا في التوكل بل هى سنة الاولين بل يكون الاعتماد على فضل الله تعالى بدفع السراق وابقاء الزاد والحياة والقدرة على التناول وأما الموهومات فكالاستقصاء في حيل المعيشة واستنباط دقائق الامور فيها * وذلك ثمرة الحرص * وقد يحمل على أخذ الشبهة فكل ذلك يناقض التوكل * والدليل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بانهم لا يكتنون ولا يسترقون ولم يصفهم بانهم لا يسكنون الامصار * ولا يكتسبون فانسبته الى السبب كنسبة الرقية والكيّ فتركها من شروط التوكل

﴿ الفن الثاني ﴾ من تدبير الاسباب الادخار * فالمتوكل اذا ورث مالا وادخر لسنة فما فوقه أبطل توكله وان قنع بقوت يومه وفرق الباقي فهو تمام التوكل وان ادخر لاربعين يوماً * قال سهل التستري بطل توكله ولا ينال المقام المحمود الذى وعد للمتوكلين * وقال الخواص لا يبطل * واتفقوا على أن الزيادة عليه يبطل التوكل الا اذا كان معيلا فله أن يدخر قوت عياله لسنة كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق عياله وفى حق نفسه كان لا يدخر من غدائه لعشائه ولا شك أن طول الامل ينافض التوكل *ومهما قلت مدة الادخار كانت الرتبة أعظم * ولكن سنة الله تعالى جارية بتكرر الارزاق عند تكرار السنة *فالادخار لاكثر من سنة غاية الضعف وليس من التوكل في شيء ﴿فاما﴾ ادخار الكوز وأثاث البيت فذلك جائز لان سنة الله تعالى لم تجر بتكررها كتكرر الارزاق ويحتاج اليها فى كل وقت وليس كثوب الشتاء فانه لا يحتاج اليه فى الصيف وادخاره على خلاف التوكل قال النبي صلى الله عليه وسلم في فقير دفن انه يحشر يوم القيامة

ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كان كالشمس الضاحية كان اذا جاء الشتاء إدخر حلة الصيف لصيفه ﴿ الفن الثالث ﴾ في مباشرة الاسباب الدافعة كالفرار من السبع ومن الجدار المائل ومجرى السيل ودفع الامراض بالادوية وذلك ايضاً له درجات فاستنبطها بالقياس الى ماذكرناه وقد فسرناه في الاحياء *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه وقوى قلبه واما الضعيف الذي يضطرب قلبه لو لم يدخر لم يتفرغ للعبادة فالافضل له ان يدع طريق المتوكلين ولا يحمل نفسه مالا يطيقه اذ فساد ذلك في حقه اكثر من صلاحه بل يعالج كل واحد على حسب حاله وقوته * وقد تنتهي القوة الى ان يجوز السفر في البوادي من غير زاد وذلك لمن يصبر عن الطعام اسبوعا ويقنع بالحشيش فان ذلك لا يُعوزُه غالباً في البادية فأما الضعيف اذا فعل ذلك فهو عاص ملق نفسه في التهلكة والقوي ان حبس نفسه في كهف جبل ليس فيه حشيش ولا يجتاز به انسان فذلك ايضا حرام لانه خالف سنة الله تعالى

في خلقه وانما جاز له ذلك في البوادي لان سنة الله جارية بانها لا تخلو عن الحشيش وقد يجتاز بها الآدميون فاذا قوى كان هلاكه نادراً فلم يكن بذلك عاصياً فله ان يسافر في البادية متكلا على لطيف صنع الله تعالى وغير قاصر التفاته على الاسباب الجلية الواضحة *

﴿ الاصل الثامن في المحبة ﴾

قال الله تعالى يحبهم ويحبونه * وقال قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله الآية * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما * وقال عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل * وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله عز وجل منعه ذلك من طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر * وقال الحسن البصري رحمة الله عليه من عرف الله تعالى احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها * والمؤمن لا يلهو حتى يغفل واذا تفكر حزن

﴿ فصل ﴾

اعلم ان اكثر المتكلمين انكروا محبة الله تعالى واولوها * وقالوا لا معنى لها الا لامتثال أوامره والا فما لا يشبهه شئ ولا يشبه شيئا ولا يناسب طباعا فكيف نحبه وانما يتصور منا ان نحب من هو من جنسنا وهؤلاء محرومون بجهلهم بحقايق الامور وقد كشف الغطاء عن هذا في كتاب المحبة من كتب الاحياء فطالعها لتصادف منها اسراراً تخلو الكتب عنها * فاقنع في هذا المختصر بتلويحات واشارات *

﴿ فصل ﴾

﴿اعلم﴾ ان كل لذيذ محبوب ومعنى كونه محبوبا ميل النفس اليه فان قوي الميل سمي عشقا * ومعنى كونه مبغوضاً نفرة النفس عنه لكونه مؤلما * فان قوي البغض والنفرة سمي مقتاً ﴿ واعلم ﴾ ان الاشياء التي تدركها بحواسك وجميع مشاعرك اما ان يكون موافقة لك ملايمة وهو اللذيذ او تكون منافية مخالفة وهو المولم اولا موافقة ولا مخالفة وهو الذي لا ألم فيها ولا لذة * وكل لذيذ محبوب اي للنفس الملتذة به ميل

لا محالة اليه ﴿ واعلم ﴾ ان اللذة تتبع الادراك والادراك ادر اكان ظاهر وباطن * اما الظاهر فبا الحواس الخمس فلا جرم لذة العين في الصور الجميلة * ولذة الاذن في النغمات الموزونة الطيبة * ولذة الذوق والشم في الطعوم والروايح الملايمة الموافقة ولذة جملة البدن في ملابسة الناعم اللين * وجملة ذلك محبوبة للنفس اي للنفس ميل اليها * واما الادراك الباطن فهو اللطيفة التي محلها القلب تارة يعبر عنها بالعقل وتارة بالنور وتارة بالحس السادس * ولا تنظر الى العبارات فتغلط بل قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة ﴾ فتعلم ان الطيب والنساء فيهما حظ الشم واللمس والبصر * والصلوة لاحظ فيها للحواس الخمس بل للادراك السادس الذي محله القلب ولا يدركها من لا قلب له وان الله يحول بين المرء وقلبه * ومن اقتصر من لذته على الحواس الخمس فهو بهيمة لان البهيمة تشاركه فيها * وانما خاصية الانسان التميز بالبصيرة الباطنة * ولذة البصر الظاهر في الصور الجميلة الظاهرة * ولذة البصيرة الباطنة في الصور الجميلة الباطنة *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول ما معنى الصور الجميله الباطنة ﴿ فاقول ﴾ ماعندي انك لاتحس من نفسك حب الانبياء والعلماء والصحابة ولا تدرك من نفسك تفرقة بين الملك العادل العالم الشجاع الكريم العطوف على الخلق وبين الظالم الجاهل البخيل الفظ الغليظ وما عندي انك اذا حكى لك صدق ابي بكر وسياسة عمر وسخاوة عثمان وشجاعة علي رضوان الله عليهم لاتجد في نفسك هزة وارتياحاً وميلا الى هؤلاء والى كل موصوف بخلال الكمال من نبيّ وصديق وعالم * وكيف تنكر هذا وفي الناس من يقتدي بنفسه ارباب المذاهب ويحمله حبه لهم على البذل بالمال والنفس في الذب عنهم وتجاوز ذلك حد العشق وانت تعلم ان حبك لهؤلاء ليس لصورهم الظاهرة فانك لم تشاهدها ولو شاهدتها ربما لم تستحسنها وان استحسنت * فلو تشوهت صورهم الظاهرة وبقيت صفاتهم المعنوية الباطنة لبقي حبهم واذا فتشت عن محبوبك منهم رجع بعد التفصيل الطويل الذي لايحتمله هذا الكتاب الى ثلاث صفات ﴿ العلم والقدرة

والنزاهة عن العيوب ﴿اما العلم فكعلمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وعجايب ملكوته ودقايق شريعة انبيائه *واما القدرة فكقدرتهم على انفسهم بكسر شهوتها وحملها على الصراط المستقيم وقدرتهم على العبادة بسياستهم وارشادهم الى الحق واما النزاهة فكسلامة باطنهم من عيب الجهل والبخل والحسد وخبائث الاخلاق واجتماع كمال العلم والقدرة مع حسن الاخلاق وهو حسن الباطن وهي الصورة الباطنة التي لا تدركها البهيمة ومن في مثل حالها بالبصر الظاهر* ثم اذا احببت هؤلاء بهذه الصفات وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اجمع منهم لهذه الخصال كان حبك له اشد بالضرورة فارتفع نظرك الآن من النبي الى مرسِلِ النبي وخالقه والمتفضل على الخلق ببعثه لتعلم ان بعثه الانبياء حسنة من حسناته * ثم انسب قدرة الانبياء وعلمهم وطهارتهم الى علم الله سبحانه وقدرته وقدسه لتعلم انه لا قدوس سوى الواحد الحق وان غيره لا يخلو من عيب ونقص بل العبودية أعظم انواع النقص فأيُّ كمال لمن لا قوام له بنفسه ولا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا رزقا

ولا أجلا وايّ علم لمن يشكل عليه صفات باطنه في مرضه وصحته بل لا يعلم جميع جوارحه الباطنة وتفصيلها وحكمها بالتحقيق فضلا عن ملكوت السموات والارض * وانسب هذا الى العلم الازلي المحيط بجميع الموجودات ومعلومات لا نهايه لها الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض والى قدرة خالق السموات والارض الذي لا يخرج موجود عن قبضة قدرته في وجوده وبقائه وعدمه * وانسب نزاهته من العيوب الى قدسه لتعلم انه لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق * وانما لغيره القدرة التي اعطاه ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وما أوتيتم من العلم الا قليلا * فانظر الآن هل يمكنك ان تنكر ان هذه الصفات والمحامد محبوبة أو تنكر ان الموصوف بكمال الجلال هو الله تعالى وانظر كيف تنكر حبه بعد ذلك *

﴿ فصل ﴾

ان قصرت بصيرتك عن ادراك الجلال والكمال والميل الى مطالعته والفرح به والعشق له * فلا تقصر عن الميل الى المنعم

المحسن اليك * ولا تكونن اقل من الكلب فانه يحب صاحبه الذى يحسن اليه * وتأمل هذا فى العالم هل لاحد احسان اليك سوى الله تعالى وهل لك حظ ولذة وتنعم في شيء وحرص على نعمه الا والله سبحانه خالقها ومبديها ومبقيها وخالق الشهوة اليها والتلذذ بها * وتفكر فى اعضائك ولطف صنع الله تعالى بك فيها لتحبه باحسانه اليك فكون من عوام الخلق ان لم تقدر ان تحبه لجماله وجلاله وكماله كما تحبه الملائكة لذلك وامتثال قوله عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله * وعند هذا تكون كالعبد السوء يحب ويعمل للاجرة والنفقة فلا جرم يزيد حبك وينقص بزيادة الاحسان ونقصانه — وذلك ضعيف جدا بل الكامل من يحب الله لجلاله وجماله ومحامد صفاته التي لا يتصور ان يشارك فيها ولذلك اوحي الله تعالى الى داود عليه السلام أن اودّ الاودّاء الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها * وفي الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا ناراً ألم اكن أهلا ان أُطاع * ومرّ عيسى عليه السلام بطائفة من العبّاد

وقد تخلوا للعبادة * وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة * فقال مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم * ومر بقوم آخر كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله * فقال أنتم اولياء الله حقا ومعكم امرت ان اقيم

﴿ فصل ﴾

العارف لا يحب الا الله تعالى فان احب غيره فيحبه لله عز وجل اذ قد يحبُّ المحبُّ عبد المحبوب واقاربه وبلده وثيابه وضيعته وتصنيفه وكل ماهو منه واليه نسبته * وكل ما في الوجود صنع الله عز وجل وتصنيفه * وكل الخلق عباد الله تعالى فان احب الرسول احبه لانه رسول محبوبه وحبيبه وان احب الصحابة فلانهم محبو بوا رسوله ولانهم محبوه وعبيده والمواظبون على طاعته * وان احب طعاما فلانه يقوّي مركبه الذي به يصل الى محبوبه اعني البدن * وان احب الدنيا فلانها زاده الى محبوبه وان احب النظر الى الازهار والانهار والانوار والصور الجميلة فلانها صنعة محبوبه وهي دلالات على جماله وجلاله ومذكرات لصفات المحامد التي هي المحبوبة في ذاتها وان احب المحسن اليه والمعلم اياه علوم الدين فيحبه لانه واسطة بينه وبين محبوبه

في ايصال علمه وحكمه اليه ويعلم انه الذى قيضه لتعليمه وارشاده والانفاق عليه من ماله وانه لولا تسليط الدواعي اليه واضطراره بسلسلة البواعث والاغراض الى ارشاده والانفاق عليه لما فعله * واعظم الخلق احسانا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله المنة والفضل بخلقه وبعثه كما قال هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة * فما الرسول الا عبد مسخر مبعوث محمول على تبليغ الرسالة بالاضطرار — ولذلك قال الله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء * وتأمل سورة الفتح وقوله تعالى ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا * فقد انزله منزلة النظارة وقال اذا رأيت عباد الله يدخلون في دين الله فقل بحمد الله لا بحمدى وهو معنى التسبيح بحمد ربه * فان التفت قلبك الى نفسك وسعيك فاستغفره ليتوب عليك ﴿ واعلم ﴾ انه ليس لك من الامر شيء * ومن ههنا نظر عمر رضى الله عنه حيث وصل كتاب خالد بعد فتح مكة من خالدٍ سيف الله المسلول على

المشركين الى ابي بكر امير المؤمنين * فقال ان نصر الله المسلمين نظر خالد الى نفسه ويسميها سيفاً مسلولا على المشركين * ولو لاحظ الحق كما هو لعلم ان ليس ذلك بسيفه ولكن لله تعالى سرٌّ في ارادته بنصرة الاسلام فينصره بخطرة واحدة وهو خاطر رعب يلقيه في قلب كافر فينهزم * وينظر اليه غيره فينهزم وتعم الهزيمة فينظر خالد ومن هو في مثل حاله انه علا كلمة الاسلام بصرامته وحدة سيفه * ويطلع عمر رضى الله عنه ومن هو في مثل حاله من الصديقين والاولياء على حقيقة الحال ويعلم حاجة خالد الى الاستغفار وان يسبح بحمد ربه اذا رأى ذلك كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لا موجب للمحبة الا أمران ﴿أحدهما﴾ الاحسان ﴿والآخر﴾ غاية الجلال والجمال بكمال الجود والحكمة والعلو والقدرة والتقديس من العيب والنقص ولا احسان الا منه ولا جلال ولا جمال ولا قدس الاله * فكل ما في العالم من حسن واحسان فهو حسنة من حسنات جوده * يسوقها الى عباده بخطرة واحدة يخلقها في قلب المحسن فكل ما في العالم من صورة مليحة وهيئة جميلة

يدرك بعين أو سمع أو شم فاثر من آثار قدرته وهى بعض معانى جماله * فليت شعرى لمن عرف بالمشاهدة المحققة والبرهان القاطع جميع هذا كيف يتصور ان يلتفت الى غير الله تعالى أو يحب غير الله عز وجل *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن لذة العارف فى الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية أعظم من كل لذة يتصور أن يكون فى الدنيا سواها وذلك لان اللذة على قدر الشهوة * وقوة الشهوة على قدر الملائمة والموافقة مع المشتهى * وكما ان اوفق الاشياء للابدان الاغذية فاوفق الاشياء للقلوب المعرفة * فالمعرفة غذاء القلب وأعنى بالقلب الروح الربانى الذى قال الله تعالى فيه ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ وقال تعالى ونفخت فيه من روحى فاضافه الى نفسه * وهذا الروح لا يكون للبهائم ولمن هو فى مثل حالها من الانس بل يختص به الانبياء والاولياء — ولذلك قال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء

من عبادنا * فالمعرفة أوفق الاشياء لهذه الروح لان أوفق لكل شئ خاصية * فالصوت الطيب لا يوافق البصر لانه ليس من خاصيته * وخاصية روح الانسانى معرفة الحقايق وكلما كان المعلوم أشرف كان العلم به الذ * ولا أشرف من الله تعالى ولا أجل منه * فمعرفته ومعرفة صفاته وذاته وعجائب ملكه وملكوته الذ الاشياء عند القلب لان شهوة ذلك أشد الشهوات — ولذلك يخلق آخرا بعد سائر الشهوات * وكل شهوة تأخرت فهى أقوى مما قبلها * فاول ما يخلق شهوة الطعام * ثم يخلق له شهوة الوقاع فيترك شهوة الطعام لاجله ويستحقر فيه * ثم يخلق له شهوة الرياسة والجاه والغلبة * ويستحقر فيها شهوة المنكح والمطعم ثم يخلق له شهوة المعرفة التى هى استيلاء على كل الموجودات فيستحقر فيها الجاه والرياسة وهى آخر شهوات الدنيا وأقواها وكما ان الصبى ينكر شهوة الوقاع ويتعجب ممن يتحمل مؤنة النكاح لاجلها * فاذا بلغ شهوة الوقاع اكب عليها وانكر شهوة الجاه والرياسة ولم يبال بفواتها في قضاء شهوة الفرج — فكذلك المشغوف بشهوة الجاه * والرياسة ينكر لذة المعرفة اذ لم

يخلق فيه بعد شهوتها * وقد ينتهي شهوة شره على الجاه الى مرض قلبه حتى لا يقبل شهوة معرفة الله عز وجل اصلا كما يفسد مزاج المريض فيسقط شهوته للغذاء حتى يموت * وقد ينعكس طبعه فيشتهي الطين والاشياء المضرة المهلكة وهي مقدمات الموت — فكذلك مرض القلب قد ينتهي الى حد ينكر المعرفة ويبغضها ويبغض أهلها والمقبلين عليها ولا يدرك الالذة الرياسة أوالمطعم والمنكح * وذلك هو الميت الذي لا يقبل العلاج وفي مثله قيل ﴿ انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابداً ﴾ وفيهم قيل أموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون *

﴿ فصل ﴾

هذه المعرفة وان عظمت لذتها فلا نسبة لها الى لذة النظر الى وجه الله الكريم في الدار الآخرة — وذلك لا يتصور في الدنيا لسر لا يمكن الآن كشفه ولا ينبغي ان تفهم من النظر ما يفهمه العوام والمتكلمون فيحتاج في تقديره الى جهة ومقابلة — فذلك من

نظر من اقعده القصور فى بحبوحة عالم الشهادة حتي لم يجاوز المحسوسات التى هى مدركات البهايم لكن ينبغى ان تفهم ان الحضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجيب على ماهو عليه من البهاء والعظمة والجلال والمجد فى قلب العارف كما ينطبع مثلا صورة العالم المحسوس في حواسك فكانك تنظر اليه وان غمضت عينيك * فان فتحت العين ووجدت الصورة المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لاتخالفها في شيء الا ان الابصار فى غاية الوضوح بالنسبة الى التخيل - وكذلك ينبغى ان تعلم ان فى ادراك مالا يدخل في الخيال والحس أيضا فى درجتين متفاوتين فى الوضوح غاية التفاوت * ونسبة الثانية الى الاولى كنسبة الابصار الي التخيل فيكون الثانية غاية الكشف فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية * والرؤية لم تسم رؤية لانها فى العين اذ لو خلقت في الجبهة لكانت رؤية بل لانها غاية الكشف وكما ان تغميض الاجفان حجاب من غاية الكشف في المبصر * فكدورة الشهوات وشواغل هذا القالب المظلم حجاب عن غاية المشاهدة * ولذلك قال الله تعالى لن ترانى

وقال تعالى لا تدركه الابصار * فاذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة * ويكون مشاهدة كل واحد على قدر معرفته — ولذلك تزيد لذة أولياء الله سبحانه فى النظر على لذة غيرهم ويتجلى الله تعالى لابى بكر رضي الله عنه خاصة ويتجلى للناس عامة * وكذلك لا يراه الا العارفون لان المعرفة بدؤ النظر بل هى التى تنقلب مشاهدة كما ينقلب التخيل أبصارا * فلذلك لا يقتضي مقابلة وجهة * وسر هذا طويل فاطلبه من كتاب المحبة فى الاحياء *

﴿ فصل ﴾

لو كان معشوقك وأنت تراه من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار وفى حالة ضعف الضوء وفي حالة اجتمع عليك تحت ثوبك عقارب وزنابير تلدغك وتشغلك فلا يخفي ان لذتك من مشاهدة معشوقك تضعف فلو اشرقت الشمس دفعة فارتفع الستر الرّقيق وأنصرفت عنك العقارب والزنابير وهجم عليك العشق المفرط البليغ فلا نسبة لهذه اللذة العظمية التى تحصل الآن الى ما كان قبل ذلك — وكذلك فافهم انه لا يشبه لذة النظر الى لذة

المعرفة بل هى أعظم منها كثيرا * والستر الرّقيق قالبك * والعقارب شواغل الدنيا وغمومها وشهواتها * وهجوم العشق شدة الشهوة لانقطاع المضعفات والمنغصات عنها * واشراق الشمس هو استعداد حدقة القلب لاحتمال تمام التجلي فانها فى هذه الحيوة لا يحتمل بصر الخفاش نور الشمس *

﴿ فصل ﴾

انما ضعفت شهوة معرفة الله تعالى لزحمة سايرالشهوات وانما خفيت معرفةالله تعالى مع جلائها لشدة ظهورها * ومثاله انك تعلم ان اظهر الاشياء المحسوسات * ومنها المبصرات * ومنها النورالذي به يظهر لك الاشياء * ثم لو كانت الشمس دائمة لا تغيب ولا يقع لها ظل لكنت لا تعرف وجود النور وكنت تنظر الى الالوان فلا ترى الا الحمرة والسواد والبياض * فاما النور فلا تدركه الا بان تغيب الشمس او يقع لها حجاب بما له ظل فتدرك باختلاف الاحوال بين الظلمة والضياء ان النور شيء آخر يعرض للالوان فتصير مبصرة ولو تصوّر لله سبحانه غيبة او لانوار قدرته حجاب عن بعض الاشياء لادركت

من التفاوت مايضطر معه الى المعرفة ولكن الموجودات كلها لما تساوت فى الشهادة لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت خفي الامر لشدة جلائه * ولو تصورا نقطاع انوار قدرته عن السموات والارض لانهدمت وانمحقت وادرك في الحال من التفاوت مايضطر الى المعرفة بالقدرة والقادر * وهذا مثال ماذكرناه وتحته اسرار * وفيه مواقع غلط * فاجتهد لعلك تقف على اسراره ولا ترتبك فى مواقع غلطه فمنه غلط من قال انه فى كل مكان وكل من نسبه الي مكان او جهة فقد ذل فضلّ ورجع غاية نظره الى التصرف فى محسوسات البهايم ولم يجاوز الاجسام وعلايقها * واول درجات الايمان مجاوزتها فيه يصير الانسان انسانا فضلا عن ان يصير مؤمنا

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان للمحبة علامات كثيرة يطول احصاؤها ومن علاماتها تقديم اوامر الله تعالى على هوى النفس والتوقي بالورع ورعاية حدود الشرع * ومن علاماتها الشوق الي لقاء الله والخلو عن كراهية الموت الا من حيث يتشوق الى زيادة المعرفة

فان لذة المشاهدة بقدر كمال المعرفة فانها بدؤ المشاهدة فتختلف لامحالة باختلافها * ومن علاماتها الرضاء بالقضاء بمواقع قدر الله عز وجل فلنذكر معنى الرضاء حتى لايغتر الانسان بما يصادف في نفسه من خطرات تخطر فيظن انها حقيقة الحب لله تعالى فان ذلك عزيز جداً *

﴿ الاصل التاسع الرضاء بالقضاء ﴾

قال الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه *وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه *وقال عليه السلام أعبد الله تعالى بالرضاء فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير *وقال عليه السلام لطائفة ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء * فقال مؤمنون ورب الكعبة وفى رواية انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء * ومما اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ما الاوليائى والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ان محبتى من اوليائى ان يكونوا روحانيين

لا يغتمون * وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى * انا الله لا اله الا انا فمن لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سواى * وقال عليه السلام قال الله تعالى خلقت الخير وخلقت له اهلا * وخلقت الشر وخلقت له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسرته على يديه * وويل لمن خلقته للشر ويسرت الشر على يديه * وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف * واوحي الله سبحانه الى داود عليه السلام يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلّمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلّم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما أريد *

﴿ فصل ﴾

قد انكر الرضا جماعة * وقالوا لا يتصور الرضاء بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر فقط وانما اوتوا من انكار المحبة ونحن نحققها وعلامتها الرضاء بالبلاء وبما يخالف الطبع والهوى وذلك يتصور من ثلاثة اوجه ﴿احدها﴾ ان يدهشه مشاهدة الحب وافراطها عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد في حب المخلوقين وفي غلبة الشهوة والغضب حتى ان الغضبان تصيبه الجراحة فلا

يحس بها فى الوقت وحتى ان الحريص تصيبه شوكة في رجله فلا يحس بها *ثم اذاسكن غضبه وظفر بمراده عظم ألمه* واذا تصور ان ينغمر الم يسير بحب يسير تصور ان ينغمر الم كثير بحب قوي بالغ فان كل واحد من الحب والالم يقبل الزيادة والشدة ومهما تصور مثل هذا فى عشق يرجع الى الميل الى صورة مركبة من لحم ودم مشحون بالاقذار والخبايث* وانما يدرك بعين ظاهرة يغلب الغلط عليها حتى ترى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فكيف لا يتصور بالادراك جمال الحضرة الربوبية والجلال الازلي الابدي الذى لا يتصور انقطاعه ونقصانه المدرك بالبصيرة الباطنة التى هي اصدق واوضح عند اهلها من البصر الظاهر *ومن هذا الاصل قال الجنيد رحمه الله قلت لسرىّ السقطي رحمه الله هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال لا وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة *وقال بعضهم أحببت كل شئ لحبه حتى لو احب النار احببت الدخول فى النار وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله مابقي لي فرح الا في موقع

قدر الله تعالى * وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك * فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي ﴿ الوجه الثاني ﴾ من الرضا ان يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى به بعقله وايمانه لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء كما يرضى المريض بألم الفصد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح بمن يهدي اليه الدواء وان كان بشعا * وكذلك يرضى التاجر بمشقة السفر وهو خلاف طبعه * وهذا ايضا يشاهد مثله في الاغراض الدنيوية فكيف ينكر في السعادة الاخروية * وروي ان امرأة فتح الموصلي الانصاري عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين ألم الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه فاذا من ايقن ان ثواب البلاء أعظم مما يقاسيه لم يبعد ان يرضى به ﴿ الوجه الثالث ﴾ ان تعتقد أن لله تعالى تحت كل أعجوبة لطيفة بل لطايف — وذلك يخرج عن قلبه (لم وكيف) حتى لا يتعجب مما يجري على العالم مما يظنه الجاهل تشويشا واضطرابا وميلا عن الاستقامة

ويعلم ان تعجبه كتعجب موسى من الخضر عليه السلام لما خرق سفينة الايتام وقتل الغلام وأعاد بناء الجدار كما في سورة الكهف * فلما كشف الخضر عن السر الذي اطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما اخفى عنه من تلك الاسرار وكذلك افعال الله تعالى مثاله ماحكي عن رجل من الراضين انه كان يقول في كل ما يصيبه (الخيرة فيما قدره الله تعالى) وكان في بادية ومعه اهله وليس له الا حمار يحمل عليه خباءه وكلب يحرسهم وديك يوقظهم * فجاء ثعلب واخذ الديك فقال خيرة وجاء ذيب وقتل الحمار فحزن اهله فقال خيرة * ثم اصيب الكلب فمات فقال خيرة فتعجبت اهله من ذلك حتى اصبحوا وقد سبي من حولهم واسترق اولادهم وكان قد عرف مكانهم بصوت الديك ومكان بعضهم بنبيح الكلب ومكان بعضهم بنهيق الحمار * فقال قد رأيتم ان الخيرة فيما قدره الله سبحانه فلو لم يهلكهم الله عز وجل لهلكتم وهلكنا * وروي ان نبياً كان يتعبد في جبل وكان بالقرب منه عين فاجتاز بها فارس وشرب ونسي عندها صرة فيها الف دينار وجاء آخر فاخذ الصرة ثم جاء

رجل فقير على ظهره حزمة حطب فشرب واستلقى ليستريح فرجع الفارس في طلب الصرة فلم يرها فاخذ الفقير فطالبه وعذبه فلم يجد عنده فقتله * فقال النبي الهى ﴿ ما هذا ﴾ أخذ الصرة ظالم آخر وسلطت هـذا الظالم على هذا الفقير حتى قتله فاوحى الله تعالى اليه اشتغل بعبادتك فليس معرفة أسرار الملك من شأنك ان هذا الفقير كان قد قتل ابا الفارس فمكنته من القصاص وان ابا الفارس كان قد اخذ الف دينار من مال آخذ الصرة فرددته اليه من تركته * فمن ايقن بامثال هذه الاسرار لم يتعجب من افعال الله تعالى وتعجب من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف فرضى بما دبره الله فى ملكوته * وههنا وجوه اربع تتشعب عن محض المعرفة بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة الى المسببات ومعرفة القضاء الاول الذى هو كلمح البصر ومعرفة القدر الذي هو سبب ظهور تفاصيل القضاء * وانها رتبت على اكمل الوجوه واحسنها * وليس في الامكان احسن منها واكمل ولو كان وادّخر لكان بخلا لا جوداً

وعجزا يناقض القدرة وينطوي تحت ذلك معرفة سرّ القدر وكما ان من أيقن ذلك لم ينطو ضميره الا على الرضا بكل ما يجري من الله * وشرح ذلك يطول ولا رخصة فيه أيضاً فلنتجاوزه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول كيف أجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى وبين بغض أهل الكفر والعصيان وقد تعبدت به شرعا وذلك مراد الله تعالى فيهم ﴿ فاعلم ﴾ أن طائفة من الضعفاء ظنوا أن ترك الامر بالمعروف من جملة الرضا بالقضاء وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل عليك أن ترضى وأن تكره جميعا والرضا والكراهية يتضادان اذا تواردا على شئ واحد من وجه واحد ولا يتناقض أن يقتل عدوّك الذي هو عدوّ عدوّك أيضا فترضاه من حيث أنه عدوّك وتكرهه من حيث أنه عدوّ عدوّك * فكذلك للمعصية وجهان وجه الى الله تعالى من حيث أنها بقضائه ومشيته فهو من هذا الوجه مرضيّ به * ووجه الى العاصي من حيث أنه صفته وكسبه

وعلامة كونه ممقوتا من الله تعالى فهو من هذا الوجه مكروه * وقد تعبدك الله تعالى ببغض من يبغضه من المخالفين لامره فعليك بما تعبدك به والامتثال له * ولو قال لك محبوبك اني أريد أن أمتحن حبك بان أضرب عبدى وارهقه الى أن يشتمنى فمن أبغضه فهو محبي ومن أحبه فهو عدوى فيمكنك أن تبغض عبده اذا شتمه مع أنك تعلم أنه الذى اضطره الى الشتم وكان ذلك مرادا منه * فيقول أما فعله في الشتم فاني أرضى به من حيث أنه تدبيرك فى عبدك ومرادك ممن أردت ابعاده * وأما شتمه من حيث هو صفته وعلامة عداوته فانى أبغضه لاني أحبك فابغض لا محالة من عليه علامة عداوتك وهذه دقيقة زل فيها الضعفاء فلذلك يتهافتون فيها *

﴿ فصل ﴾

كذلك ينبغي أن لا تظن أن معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء بل ترك السهم الذى أرسل اليك حتى يصيبك مع قدرتك على دفعه بالترس بل تعبدك الله عز وجل بالدعاء ليستخرج به من قلبك صفاء الذكر وخشوع القلب ورقته لتستعد به لقبول

الالطاف والانوار فمن جملة الرضا بقضائه أن يتوصل الى محبوباته بمباشرة ماجعله سببا له بل ترك الاسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة لرضاه فليس من الرضاء للعطشان أن لايمد اليد الى الماء البارد زاعما أنه رضى بالعطش الذى هو من قضاء الله تعالى بل من قضاء الله تعالى ومحبته أن يزال العطش بالماء فليس في الرضا بالقضاء مايوجب الخروج عن حدود الشرع ورعاية سنة الله تعالى أصلا بل معناه ترك الاعتراض على الله عز وجل اظهارا واضمارا مع بذل الجهد في التوصل الى محاب الله تعالى من عباده * وذلك بحفظ الاوامر وترك النواهى *

﴿ الاصل العاشر ذكر الموت ﴾

وحقيقته وأصناف العقوبات الروحانية ﴿ اعلم ﴾ أن المقامات التسع التى ذكرناها ليست هى على رتبة واحدة بل بعضها مقصودة لذاتها كالمحبة والرضا فانهما أعلى المقامات * وبعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر اذ التوبة رجوع عن طريق البعد للاقبال على طريق القرب * والزهد ترك الشواغل عن القرب والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل * والصبر جهاد مع

الشهوات القاطعة لطريق القرب * وكل ذلك غير مطلوب لذاته بل المطلوب القرب[1] وذلك بالمعرفة والمحبة فانها مطلوبة لذاتها لا لغيرها ولكن لا يتم ذلك الا بقطع حب غير الله تعالى عن القلب فاحتيج الى الخوف والصبر والزهد لذلك * ومن الامور العظيمة النفع فيه ذكر الموت فلذلك أوردناه ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره اذ به ينغص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها قال الله تعالى ﴿ قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات * وقال عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه[2] وقالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة * ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس وقد

---

(١) نعم ماقال قدوة العرفاء الشيخ سعدي الشيرازي فى كتابه (بندنامه)

خوش اندل كه شيد است برروى دوست

خوش اندل كه شد منزلش كوي دوست

(٢) ونعم ماقال صاحب المثنوي حضرة مولانا جلال الدين البلخي

أي لقاى تو جواب هر سؤال * مشكل از تو حل شود بي قيل وقال

استعلاه الضحك * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات * قيل وماهو قال عليه السلام الموت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم لما أكلتم منها لحما سمينا * وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا * وقال عليه السلام ﴿ تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا فالصامت الموت والناطق القرآن ﴾ وذكر رجل عند النبي عليه السلام وأحسن الثناء عليه فقال عليه السلام كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال إن صاحبكم ليس هناك وقال رجل من الانصار يا رسول الله من أكيس الناس واكرم الناس * فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا أولئك هم الاكياس ذهبوا براحة الدنيا وكرامة الآخرة (١) *

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن الموت عظيم هايل ومابعده أعظم منه وفي ذكره منفعة عظيمة فانه ينغص الدنيا ويبغضها الى القلب وبغضها

(١) وفي النسخة العراقية بشرف الدنيا الخ

رأس كل حسنة كما ان حبها رأس كل خطيئة وللعارف في ذكره فائدتان ﴿ احداهما ﴾ النفرة من الدنيا ﴿ والاخرى ﴾ الشوق الى الآخرة فان المحب لامحالة مشتاق ومعنى الشوق في المحسوسات استكمال الخيال بالترقي الى المشاهدة فان المشتاق اليه مدرك لامحالة بالخيال وغايب عن الابصار وأحوال الآخرة ونعيمها وجمال الحضرة الربوبية مدرك كل ذلك للعارف يعرفه [1] كأنه نظر من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار وضعف النور فهو مشتاق الى استكمال ذلك بالتجلي والمشاهدة ويعلم ان ذلك لايكون الا بالموت * فلذلك لا يكره الموت لانه لا يكره لقاء الله تعالى ولا سبب لاقبال الخلق على الدنيا الا قلة التفكر في الموت وطريق الفكر فيه ان يفرّغ الانسان قلبه عن كل فكر سواه * ويجلس في خلوة [2] ويباشر

---

(١) وفى النسخة الكردية للعارف معرفة كانها الخ (٢) الخلوة محادثة السر مع الحق * ونعم ما قال حضرة مولانا جلال الدين البلخي فى كتابه المسمى (بمثنوي)

كرشبي تور استانه خم شوي * وارهي أز اختران محرم شوي
چون شوى محرم كشايم باتولب * تا ببيني آفتابى نيم شب

ذكر الموت بصميم قلبه ويتفكر أولا في أخدانه وأشكاله [1] الذين مضوا فيتذكرهم واحداً واحداً ويتذكر حرصهم وأملهم وركونهم الى الجاه والمال * ثم يتذكر مصارعهم عند الموت وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه * ثم يتفكر في أجسادهم كيف تمزقت في التراب وصارت جيفة يأكلها الديدان * ثم يرجع الى نفسه ويعلم أنه كواحد منهم أمله كاملهم ومصرعه كمصرعهم * ثم ينظر في أعضائه وينظر كيف تتفتت * والى حدقته كيف يأكلها الدود والى لسانه كيف يتهرّى ويصير جيفة في فيه * فاذا فعلت ذلك تتنغص عليك الدنيا وكنت سعيدا اذ السعيد من وعظ بغيره * فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ايها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأنّ الذين نشيّع من الاموات سفر عن قريب الينا راجعون نبوّئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة

---

(١) وفي النسخة الكردية واقرانه

﴿ فصل ﴾

أصل الغفلة عن الموت طول الامل وذلك عين الجهل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء * واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك * ومن صحتك لسقمك * فانك ياعبد الله لاتدري ما اسمك غداً ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ان أخوف ما أخاف على أمتي خصلتان اتباع الهوى وطول الامل ﴾ واشترى أسامة وليدة الى شهرين بغاية فقال عليه السلام ﴿ ألا تعجبون من اسامة المشترى الى شهرين ان أسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ماطرفت عيناي الا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله عز وجل روحي * ولا رفعت طرفي وظننت أني واضعها حتى أقبض * ولا لقمت لقمة الا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يابني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ نجا أول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك

آخر هذه الامة بالبخل والامل ﴾ وقال عليه السلام ﴿ أكلكم يحب أن يدخل الجنة ﴾ قالوا نعم قال عليه السلام ﴿ قصروا آمالكم واجعلوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن عن ذكر الموت بل حاله الفناء فى التوحيد لا التفات له الى ماضي ولا الى مستقبل ولا الى حال من حيث أنه حال بل هو ابن وقته يعنى انه كالمتحد بمذكوره لست أقول [1] متحد بالذات فلا تعقل فتغلط وتسىء الظن *وكذلك يفارقه الخوف والرجاء لانهما سوطان يسوقان العبد الى هذه الحالة التى هو ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر الموت لينقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت *والعارف قد مات مرة فى حق الدنيا وفى حق كل ما يفارقه بالموت فانه قد ترفع وتنزه عن الالتفات الى الآخرة ايضا فضلا عن الدنيا *وقد

(١) وفي النسخه الكردية كالمتحد لمذكور لست

تنغص عليه ماسوى الله تعالى ولم يبق له من الموت الا كشف الغطاء ليزداد به وضوحا لا ليزداد يقينا وهو معنى قول على رضى الله عنه ﴿ لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ﴾ فان الناظر الى غيره من وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقينا بل وضوحا فقط * فاذا ذكر الموت يحتاج اليه من لقلبه التفات الى الدنيا ليعلم انه سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها ولذلك قال عليه السلام ان روح القدس نفث فى روعي أحبب ما احببت فانك مفارقه وعش ماشئت فانك ميت * واعمل ماشئت فانك مجزي به *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهى ان تعرف حقيقة الموت وماهيته ولن تعرف ذلك مالم تعرف حقيقة الحياة ولن تعرف حقيقة الحيوة مالم تعرف حقيقة الروح وهي نفسك وحقيقتك وهي اخفى الاشياء عنك ولا تطمع في ان تعرف ربك قبل ان تعرف نفسك واعنى بنفسك روحك التي هي خاصية الامر المضافة الى الله تعالى فى قوله ﴿ قل الروح من امر ربي ﴾ وفي قوله ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ دون الروح الجسماني اللطيف الذى هو حامل

قوة الحسن والحركة التى تنبعث من القلب وتنتشر فى جملة البدن فى تجاويف العروق الضوارب فيفيض منها نور حس البصر على العين ونور السمع على الاذن — وكذا سايرالقوى والحواس كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا ادير فى جوانبه فان هذه الروح تشارك البهائم فيها وتنمحق بالموت لانه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الاخلاط فاذا انحل المزاج بطل كما يبطل النور الفايض من السراج عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه اوبالنفخ فيه وبانقطاع الغذاء عن الحيوان تفسد هذه الروح لان الغذاء له كالدهن للسراج والقتل له كالنفخ في السراج وهذه هى الروح التي يتصرف فى تعديلها وتقويتها علم الطب *ولا تحمل هذه الروح المعرفة والامانة بل الحمال للامانة الروح الخاصة للانسان*ونعنى بالامانة تقلد عهدة التكليف بان يتعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية*وهذه الروح لاتموت ولا تفنى بل تبقى بعد الموت اما فى نعيم وسعادة او جحيم وشقاوة فانه محل المعرفة والتراب لايأكل محل الايمان والمعرفة اصلا كما نطقت به الاخبار

وشهدت له شواهد الاستبصار ولم يأذن الشرع فى ذكر تحقيق صفته اذ لا يحتمله الا الراسخون فى العلم وكيف يذكر * وله من عجائب الاوصاف مالم يحتمله اكثر عقول الخلق في حق الله تعالى فلا تطمع فى ذكر حقيقته * وانتظر تلويحا يسيراً فى ذكر صفته بعد الموت *

﴿ فصل ﴾

هذه الروح لاتفنى البتة ولا تموت بل تتبدل بالموت حالها فقط ويتبدل منزلها فتترقى من منزل الى منزل والقبر فى حقها اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران اذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها البدن واقتناصها اوائل المعرفة به بواسطة شبكة الحواس * فالبدن آلتها ومركبها وشبكتها * وبطلان الآلة والمركب والشبكة لاتوجب بطلان الصايد * نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانه غنيمة اذ يتخلص من ثقله وحمله * ولذلك قال عليه السلام ﴿ الموت تحفة المؤمن ﴾ وان بطلت الشبكة قبل الصيد عظمت فيه الحسرة والندامة والألم * فلذلك يقول المقصر * رب ارجعوني

لعلي اعمل صالحا فيما تركت* بل ان كان ألف الشبكة واحبها وتعلق قلبه بها وحسّن صورتها وصنعتها وما يتعلق بها كان له من العذاب ضعفان ﴿ احدهما ﴾ حسرة فوات الصيد الذى لا يقتنص الا بشبكة البدن ﴿ والثاني ﴾ زوال الشبكة مع تعلق القلب بها وألفه لها * وهذا مبدأ من مبادي معرفة عذاب القبر ان استقصيته تحققته قطعا *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهى الاستقصاء المفضى الى التحقيق ﴿ فاعلم ﴾ ان هذا الكتاب لا يحتمله فاقنع منه بانموذج يسير * وافهم ان معنى الموت زمانة البدن وانت تعرف ان زمانة اليد [1] خروجها عن طاعتك مع وجود شخصها ببطلان القوة التي بواسطتها تستعمل اليد * فافهم ان الموت زمانة مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان قواها فيسلب الموت منك يدك ورجلك وعينك وساير حواسك وانت باق اعنى حقيقتك التي أنت بها انت [2] فانك الآن ألانسان الذي كنت في الصبي ولعله لم يبق فيك من

(١) وفى نسخة زمانة البدن (٢) وفي النسخة الكردية حقيقتك التي بها أنت

تلك الاجسام شيء بل انحل كلها وحصل بالغذاء بدلها وانت انت وجسدك غير ذلك الجسد * فان كان لك معشوق تفتقر فيه الى حواسك عظم عذابك بفراق معشوقك * وجميع ملاذ الدنيا معشوق ولا تنال الا بالحواس * ولا فرق فى عذاب العاشق بين ان يحجب عنه معشوقه وبين ان يفقأ عينه او يسلب هو عنه بان يحمل الى موضع حتى لا يراه فان ألمه من عدم الرؤية ومن احب اهله وماله وعقاره وفرسه وجاريته وثيابه يألم بفراقها سواء سلبت هذه الاشياء عنه أو سلب هو عنها بان حمل الى موضع آخر وحيل بينه وبينها * فالموت يسلبك هذه الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون عذابك بقدر عشقك لها * والموت يخلى بينك وبين الله تعالى ويقطع عنك هذه الحواس الشاغلة المشوشة فتكون لذتك فى القدوم على الله تعالى بقدر حبك له وانسك بذكره * ولاجل هذا نبهك * وقال الله تعالى ﴿انا بدك اللازم فالزم بدك﴾ واجمع العبارات عن نعيم الجنة ان لهم فيها مايشتهون * واجمع العبارات لعذاب الآخرة قوله وحيل بينهم وبين مايشتهون * ولا ملذ الا الشهوة

ولكن عند مصادمة المشتهى ولا مولم الا الشهوة ولكن عند مفارقة المشتهى *ولا ينبغي ان تغتر الآن وتقول ان كان هذا سبب عذاب القبر فانافي أمان منه اذ لا علاقة بين قلبي وبين متاع الدنيا فان هذا لاتدركه بالحقيقة مالم تطرح الدنيا وتخرج عنها بالكلية * فكم من رجل باع جارية على ظن انه لا علاقة بينه وبينها * فلما اخذها المشترى اشتعل فى قلبه من نيران الفراق واحترق بها احتراقا ربما ألقى نفسه في الماء والنار ليقتل نفسه ويتخلص منها * فكذلك يكون حالك فى القبر فى كل مايتعلق به قلبك من الدنيا* ولذلك قال لمصطفى عليه السلام [1] احبب ما احببت فانك مفارقه ووراء هذا عذاب اعظم منه وهو حسرة الحرمان عن القرب من الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم * وينكشف بالموت عظم قدر مافات منه وان كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت لان الموت سبب الانكشاف مالم تكن المكاشفة قبله كما أن النوم سبب انكشاف الغيب بمثال أو غير مثال * والنوم أخ الموت ولكنه

(١) قوله قال لمصطفى (أي جبريل) وفي نسخة قال مصطفى

دونه يكبر[1] فهذان عذابان يتضاعفان على كل ميت كان غير الله تعالى احب اليه من الله تعالى * وكان أنسه بغير الله تعالى اكثر من أنسه بالله وهما ضروريان[2] ان عرفت بالحقيقة الروح وبقاءه بعد الموت وعلايقه وما يضادّه بالطبع وما يوافقه بالطبع *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول المشهور عند اهل العلم ان الانسان يعدم بالموت ثم يعاد وان عذاب القبر يكون بنيران وعقارب وحيات وما ذكرته بخلاف ذلك ﴿ فاعلم ﴾ ان من قال ان الموت معناه العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد ويفاع الاستبصار جميعا * اما حرمانه عن ذروة الاستبصار فلا تدركه مالم تستبصر واما حرمانه عن التقليد فتعرفه بتلاوة الآيات والاخبار * قال الله تعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين ﴾ الآية هذا في السعداء * واما في الاشقياء فقد ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر

(١) وفي النسخة المصرية يكثر (٢) وفي نسخة ضروريان بعرفهما

لما قتلوا فكان يقول يافلان يافلان يذكر واحداً واحداً من صناديدهم * فقد وجدت ماوعدني ربي حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا فقيل يارسول الله اتناديهم وهم اموات * فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ماانتم باسمع لكلامي منهم لكنهم لايقدرون على الجواب * وقال عليه السلام الموت هو القيامة ومن مات فقد قامت قيامته * واراد بهذه القيمة الصغرى والقيمة الكبرى يكون بعده * وشرح قيامة الصغرى ان اردته فاطلبه من كتاب الصبر من كتب الاحياء * والاخبار فى الدلالة على بقاء ارواح الموتى وشعورهم مما يجرى فى هذا العالم ايضا كثيرة *

﴿ فصل ﴾

اما قولك ان المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران والعقارب والحيات فهذا صحيح وهو كذلك ولكني أراك عاجزاً عن فهمه ودرك سره وحقيقته الا أني انبهك على انموذج منه تشويقا لك الى معرفة الحقايق والتشمر للاستعداد لامر الآخرة فانه نبأ عظيم انتم عنه معرضون * فقد قال عليه السلام المؤمن

في قبره في روضة خضراء قد فُرِّج له قبره سبعين ذراعا ويضيء وجهه حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت فان له معيشة ضنكا * قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنّينا هل تدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية تسعة رؤس ينهشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الي يوم يبعثون[1] فانظر الى هذا الحديث واعلم ان هذا حق على الوجه الذي شاهده أرباب البصاير ببصيرة أوضح من البصر الظاهر * والجاهل ينكره اذ يقول اني أنظر في قبره فلا أرى ذلك أصلا * فليعلم الجاهل ان هذا التنين ليس خارجا عن ذات الميت أعنى ذات روحه لا ذات جسده فان الروح هي التي تتألم وتتنعم بل كان معه قبل موته متمكنا من باطنه لكنه لم يكن يحس بلدغه لحدر كان فيه لغلبة الشهوات فاحس بلدغه بعد الموت * وليتحقق ان هذا التنين مركب من صفاته وعدد رؤسه بقدر عدد أخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا وأصل هذا التنين حب الدنيا * وتتشعب

(١) وفي النسخة العراقية ينحشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه

عنه رؤس بعددما يتشعب عن حب الدنيا من الحسد والحقد والرياء والكبر والثروة والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء * وأصل ذلك معلوم بالبصيرة * وكذلك كثرة رؤسه اللداغة أما انحصار عددها في تسعة وتسعين انما يوقف عليه بنور النبوة فقط * فهذا التنين متمكن فى صميم فؤاد الكافر لا بمجرد جهله بالكفر بل لما يدعو اليه الكفر كما قال الله تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة * وقال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها الآية * وهذا التنين لو كان كما تظنه خارجا من ذات الميت لكان أهون اذ ربما يتصور ان ينحرف عنه التنين أو ينحرف هو عنه لا بل هو متمكن من صميم فؤاده تلدغه التنين لدغاً أعظم مما تفهمه من لدغ التنين وهو بعينه صفاته التي كانت معه فى حيوته كما ان التنين التى تلدغ قلب العاشق اذا باع جاريته هو بعينه العشق الذي كان مستكنا في قلبه استكنان النار فى الحجر وهو غافل عنه فقد انقلب ما كان سبب لذته سبب المه * وهذا سر قوله عليه السلام انما هى اعمالكم ترد عليكم وقوله تعالى

(يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد) بل سر قوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم) أى ان الجحيم فى باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين لترونها قبل أن تدركوها بعين اليقين بل هو سر قوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ولم يقل انها ستحيط بل قال هى محيطة * وقوله تعالى (انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) ولم يقل يحيط بهم وهو معنى قول من قال ان الجنة والنار مخلوقتان * وقد أنطق الله لسانه بالحق ولعله لا يطلع على سر ما يقوله فان لم تفهم بعض معاني القرآن كذلك فليس لك نصيب من القرآن الا فى قشوره كما ليس للبهيمة نصيب من البر الا في قشوره الذى هو التبن والقرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف أصنافهم ولكن اغتذاؤهم به على قدر درجاتهم * وفي كل غذاء مخ ونخالة وتبن وحرص الحمار على التبن أشد منه من الخبز المتخذ من اللب وأنت شديد الحرص على أن لا تفارق درجة البهيمة ولا ترقى

الى رتبة الانسانية بل الى الملكية فدونك والانسراح فى رياض القرآن ففيه متاع لكم ولانعامكم *

﴿ فصل ﴾

فان قلت فهل يتمثل هذا التنين تمثلا تشاهده مشاهدة تضاهى ادراك البصر أم هو تألم محض فى ذاته كتألم العاشق اذا حيل بينه وبين معشوقه ﴿فأقول﴾ لا بل يتمثل لك حتى تشاهده ولكن تمثلا روحانيا لا على وجه يدركه من هو بعد فى عالم الشهادة اذا نظر فى قبره فان ذلك من عالم الملكوت * نعم العاشق أيضا قد ينام فيتمثل له حاله فى المنام فربما يرى حية تلدغ صميم فؤاده لانه بعد بالنوم من عالم الشهادة قليلا فيتمثل له حقائق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة منكشفا له من عالم الملكوت والموت أبلغ فى الكشف من النوم لانه أقمع لنوازع الحس والخيال وأبلغ فى تجريد الروح عن غشاوة هذا العالم فلذلك يكون ذلك التمثل تاما متحققا دائما لا يزول فانه نوم لا ينتبه منه الا يوم القيامة (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ﴿واعلم﴾ ان المتيقظ

بجنب النائم ان كان لا يشاهد الحية التى تلدغ النائم فذلك غير مانع من وجود الحية في حقه وحصول الالم به * فكذلك حال الميت فى القبر *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول قد أبدعت قولا مخالفا للمشهور منكرا عند الجمهور اذ زعمت أن أنواع عذاب الآخرة يدرك بنور البصيرة والمشاهدة ادراكا مجاوزا حد تقليد الشرائع فهل يمكنك ان كان كذلك حصر أصناف العذاب وتفاصيله * ﴿ فاعلم ﴾ أن مخالفتى للجمهور لا أنكره وكيف تنكر مخالفة المسافر للجمهور فان الجمهور يستقرون في البلد الذي هو مسقط رؤسهم ومحل ولادتهم وهو المنزل الاول من منازل وجودهم * وانما يسافر منهم الآحاد ﴿ واعلم ﴾ أن البلد منزل البدن والقالب * وانما منازل الروح الانسانى عوالم الادراكات * والمحسوسات منزله الاول والمتخيلات منزله الثاني * والموهومات منزله الثالث * وما دام الانسان في المنزل الاول فهو دود وفراش * فان فراش النار ليس له الا الاحساس ولو كان له تخيل وحفظ للمتخيل

بعد الاحساس لما تهافت على النار مرة بعد أخرى * وقد تأذى بها أولا فان الطير وسائر الحيوان اذا تأذى في موضع بالضرب يفرّ منه ولم يعاوده لانه بلغ المنزل الثاني وهو حفظ المتخيلات بعد غيبوبتها عن الحس * وما دام الانسان في المنزل الثاني بعد فهو بهيمة ناقصة انما حده أن يحذر عن شيء تأذى به مرة وما لم يتأذى بشيء فلا يدري انه يحذر منه وما دام في المنزل الثالث وهو الموهومات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلا فانه قد يحذر من الاسد اذا رآه أولا وان لم يتأذى به قط فلا يكون حذره موقوفا على ان يتأذى به مرة بل الشاة ترى الذيب أولا فتحذره * وترى الجمل والبقر وهما أعظم منه شكلا وأهول منه صورة ولا تحذرهما اذ ليس من طبعهما ايذاء * وهؤلاء الى الآن تشاركهم البهائم [1] فبعد هذا يترقى الانسان الي عالم الانسانية فتدرك أشياء لا يدخل في حس ولا تخيل ولا وهم ويحذر به الامور المستقبلة ولا يقتصر حذره على العاجلة اقتصار حذر الشاة على مايشاهده في الحال من الذيب ومن ههنا يصير الى

(١) وفي النسخة الدمشقيه تشاركه البهائم

حقيقة الانسانية [1] الحقيقة هي الروح المنسوبة الى الله تعالى في قوله ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ وفي هذا العالم يفتح له باب الملكوت فيشاهد الارواح المجردة عن كسوة التلبيس وغشاوة الاشكال وهذا العالم لا نهاية له * أما عوالم المحسوسات والمتخيلات والموهومات فمتناهية لانها مجاورة للاجسام وملتصقة بها * والاجسام لا يتصور أن يكون غير متناهية والسير في هذا العالم مثاله المشي الى الخيال على الماء ثم يترقى منه الى المشي في الهواء ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى صلوات الله عليه وسلامه مشى على الماء فقال عليه السلام ﴿ نعم ولو ازداد يقيناً لمشى في الهواء ﴾ وأما التردد على المحسوسات فهو كالمشي على الارض وبينها وبين الماء عالم يجري مجرى السفينة وفيها يتولد درجات الشياطين حتى يجاوز الانسان عوالم البهائم فينتهي الى عالم الشياطين * ومنه يسافر الى عالم الملائكة وقد ينزل فيه ويستقر ـ وشرح ذلك يطول وهذه العوالم كلها منازل الهدى ولكن الهدى المنسوب الى

(١) وفي النسخة الدمشقية من حقيقة الانسانية

الله تعالى يوجد في هذا العالم الرابع وهو عالم الارواح وهو قوله تعالى ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ ومقام كل انسان ومحله ومنزله في العلو والسفل [1] بقدر ادراكه وهو معنى قول علي رضي الله عنه ﴿ الناس أبناء مايحسنون ﴾ فالانسان بين أن يكون دوداً او حمارا أو فرسا أو شيطاناً ثم يجاوز ذلك فيصير ملكا * وللملائكة درجات * فمنهم الارضية * ومنهم السماوية ومنهم المقربون المترفعون عن الالتفات الى السماء والارض القاصرون نظرهم على جمال الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه خاصة وهم أبدا فى دار البقاء اذ ملحوظهم على الوجه الباقي وما عدا ذلك فالى الفناء مصيره اعني السماء والارض وما يتعلق بهما من المحسوسات والمتخيلات والموهومات وهو معنى قوله ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ وهذه العوالم منازل سفر الانسانية يترقى من حضيض درجة البهايم الى يفاع رتبة الملائكة * ثم يترقى من رتبتهم الى رتبة العشاق منهم وهم العاكفون على ملاحظة

---

(١) وفي النسخة الكردية والتسفل

جمال الوجه * يسبحون للوجه ويقدسونه بالليل والنهار لا يفترون
فانظر الآن الى خسة الانسان وشرفه والى بعد مراقيه
في معارجه * والى انحطاط درجاته في تسفله وكل الآدميين
مردودون الى أسفل السافلين * ثم الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يترقون منها فلهم اجر غير ممنون وهو جمال الوجه وبهذا يفهم
معنى قوله تعالى ﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ﴾ الآية
لان معنى الأمانة التعرض للمهدة والخطرة ولا خطر على سكان
الارض وهم البهائم اذ ليس لهم امكان الترقي من المنزل الثالث
ولا خطر على الملائكة اذ ليس لهم خوف الانحطاط الى
حضيض عالم البهايم * وانظر الى الانسان وعجائب عوالمه كيف
يعرج الى السماء العلو رقيا ويهوي الى أرض الحقارة هويا
متقلدا هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلده في الوجود غيره
فيا مسكين كيف تهددني بالعاقبة وتخوفني مجاوزة الجمهور
ومخالفة المشهور وبذلك فرحي وسروري * ان الذين
يكرهون مني ذلك الذي يشتهيه قلبي * فاطو طومار الهزيان

ولا تقعقعي بعد هذا بالشنان (١)

﴿ فصل ﴾

وأما مطالبتك اياي بتفصيل عذاب الآخرة وذكر أصنافه فلا تطمع بالتفصيل فذلك داعية الى الملال والتطويل* واقنع بذكر الاصناف فقد ظهر لي بالمشاهدة ظهورا أوضح من العيان ان أصناف عذاب الآخرة ثلاثة أعني الروحاني منها حُرقة المشتهيات وخزي خجلة المفضحات *وحسرة فوات المحبوبات *فهذه ثلاثة أنواع من النيران الروحانية يتعاقب على روح من آثر الحياة الدنيا الى أن ينتهي الي مقاسات النار الجسمانية فان ذلك يكون في آخر الامر* فخذ الآن شرح هذه الاوصاف ﴿ الصنف الاول ﴾ حرقة فرقة المشتهيات فصورته المستمارة من عالم الحس والتخيل ألتنين الذي وصفه الشرع* وعدد رؤسه وهي بعدد الشهوات * ورذائل

---

(١) في القاموس ومايقعقع له بالشنان بفتح القافين يضرب لمن لا يتضح لحوادث الدهر ولا يروعه مالا حقيقة له والقعاقع تتابع أصوات الرعد والشنان كسحاب لغة في الشنآن وكغراب الماء البارد وككتاب وادبالشام انتهى

الصفات تلدغ صميم الفؤاد لدغاً مولما وان كان البدن بمعزل عنه * فقدر في عالمك هذا ملكا مستوليا على جميع الارض متمكنا من جميع الملاذ متمتعا بها مستهترا بالوجوه الحسان متهالكا عليها مشغوفا بالامارة واستعباد الخلق بالطاعة مطاعا فيهم غافصه عدوه (١) واسترقه واستعمله على ملأ من رعيته في تعهد الكلاب وصار يتمتع بنعمه ويتمتع باهله وجواريه بين يديه ويتصرف في خزائنه وذخائر أمواله فيفرقها على أعدائه ومعانديه * وانظر الآن هل ترى على قلبه تلينا ذا رؤس كثيرة تلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه وهو يريد ان يبتلي بدنه بامراض وآلام ليتخلص منه فتوهم هذا فربما تشم به قليلا من رايحة الحطمة التي فيها نار الله الموقدة التي لاتطلع الا على الافئدة اعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده ﴿ واعلم ﴾ ان عذاب كل ميت بقدر رؤس هذا التنين * وعدد الرؤس بقدر المشتهيات فلهذا من كان افقر وتمتعه بالدنيا اقل كان العذاب عليه اخف

(١) قوله غافصه أي فاجأه وأخذه على غرة

ومن لاعلاقة له مع الدنيا اصلا فلاعقاب عليه اصلا ﴿ الصنف الثاني ﴾ خزي خجلة المفضحات * فقدّر رجلا خسيسا رذيلا فقيراً عاجزاً قرّبه ملك من الملوك ورفعه وقوّاه وخلع عليه وسلم اليه نيابة ملكه ومكنه من دخول حريمه وجملة خزائنه اعتمادا على أمانته فلما عظمت عليه النعمة طغى وبغي وصار يخون فى خزانته ويفجر باهل الملك وبناته وسريانه وهو فى جميع ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد انه غير مطلع على خيانته فبينما هو في غمرة فجوره وخيانته اذ لاحظ روزنة فرأى فيها الملك مطلعا عليه منها * وعلم ان الملك كان يطلع عليه كل يوم وليلة ولكنه كان يغض عنه ويمهله حتى يزداد خبثا وفجوراً ويزداد استحقاقاً للنكال ليصب عليه فى الآخرة انواع العذاب صباً * فانظر الآن الى قلبه كيف يحترق بنار الخزي والخجلة وبدنه بمعزل منه * وكيف يود أن يعذب بدنه بكل عذاب وينكتم خزيه فكذلك انت تتعاطى فى الدنيا اعمالا هي مشتهياتك * ولتلك الاعمال ارواح وحقايق خبيثة قبيحة وانت جاهل بها معتقد حسنها * فينكشف لك فى الآخرة

حقايقها في صورها القبيحة فتختزي وتخجل خجلة تؤثر عليها آلاماً بدنية * فان قلت كيف ينكشف الى ارواحها وحقايقها ﴿فاعلم﴾ ان ذلك لا تفهمه الا بمثال فمن جملته مثلا ان يؤذن المؤذن في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام ان بيده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج النساء * فيقول له ابن سيرين هذا رأيته لأذانك قبل الصبح * فتأمل الآن انه لما بعد بالنوم قليلا عن عالم الحس الجسماني انكشف له روح عمله لكن لما كان بعد في عالم التخيل لان النائم لا يزول تخيله غشاه الخيال بمثال متخيل وهو الخاتم والختم ولكنه مثال ادل على روح العمل من نفس الاذان لان عالم المنام اقرب الى عالم الآخرة * فالتلبيس فيه اضعف قليلا وليس يخلو عن تلبيس ولاجله يحتاج الى التعبير * ولو قال قائل لهذا المؤذن اما تستحيي ان تختم افواه الرجال وفروج النساء لقال معاذ الله ان افعل هذا فلأن أقدم ويضرب عنقي احب الي من ان افعل ذلك فهو ينكره لانه يجهله مع انه فعله لان روحه قاصرة عن ادراك ارواح الاشياء * وكذلك لو اكلت لحما طيبا على اعتقاد انه لحم طير * فقال قائل أما

تستحي ان تأكل لحم اخيك الميت فلان لقلت معاذ الله ان افعل ذلك ولان اموت جوعا اهون علي من ذلك فنظرت فاذا هو لحم اخيك الميت قد طبخ وقدم اليك ولبس عليك فانظر كيف تختزئ وتفتضح به وبدنك في معزل من ألمه فكذلك يرى المغتاب نفسه في الآخرة ولان روح الغيبة تمزيق اعراض الاخوان والتفكه بها * وفي عالم الآخرة ينكشف ارواح الاشياء وحقايقها — وكذلك لو كنت ترمي حجارة الى حائط * فقال لك قائل أما تستحي ان تفعل ذلك والحجارة ترتد من الحايط وتقع في دارك وتصيب حدقة اولادك فقد غيبت احداقهم كلهم قلت معاذ الله ان افعل ذلك * فقال ادخل دارك فدخلت فاذا هو كذلك * فانظر كيف تفتضح ويحترق قلبك تحسرا على عملك الذي ظننته هينا وهو عند الله عظيم * وهذا روح حسدك لاخيك فانك تحسده ولا تضره وتنعكس عليك ويهلك دينك وينقل حسناتك الى ديوانه وهي قرة عينك لانها سبب سعادة الابد فهي اعز من حدقة الولد * فاذا انكشف لك هذه الروح * فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة

وبذلك بمعزل عنه فالقرآن كثيرا ما يعبر عن الارواح ولذلك قال تعالى في الغيبة ﴿أيحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه﴾ وقال الله تعالى في الحسد ﴿يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم﴾ فيكفيك من الامثلة مثال الاذان والغيبة والحسد * فقس عليه كل فعل نهاك الشرع عنه فذلك لقبح روح الفعل وحقيقته وحسن ظاهره اي ظاهره حسن للبصر الظاهر * وباطنه قبيح للبصيرة الناظرة من مشكاة نور الله تعالى * وعن هذا عبر الشرع حيث قال تعرض الدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شوهاء زرقاء صفتها كيت وكيت لا يراها احد الا ويقول اعوذ بالله منها * فيقال هذه دنياكم التي كنتم تتهالكون عليها فيصادفون في نفوسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثرون النار عليه * وان اردت ان تفهم كيفية هذه الخجلة ﴿فاسمع﴾ حكاية رجل من ابناء الملوك زوج باجمل امرأة من بنات الملوك * فشرب تلك الليلة فسكر واخطأ باب الحجرة فخرج من الدار وضل فرأى ضوء سراج فقصده على ظن انها حجرته * فدخل الموضع فرأى جماعة نياما فصاح بهم فلم يجيبوه فظن انهم

نيام فطلب العروس فرأى واحدا نائما في ثياب جديد فظن انها العروس فضاجعها واخذ يقلبها ويغشاها ويجعل لسانه في فيها ويمتص ريقها متلذذا بذلك في سكره غاية التلذذ ويتمسح بالرطوبات التي تصيبه من جميع بدنها على ظن ان ذلك عطر ادخرته له * فلما اصبح أفاق فاذا هو في ناووس المجوس * واذا النيام موتى * وهذه عجوز شوهاء قريبة العهد بالموت عليها الحنوط وكفنها الجديد فصادف في فمه وانفه من رطوبات ريقها ومخاطها وعلى بدنه من قاذورات اسافلها * فاذا هو من قرنه الى قدمه ممتلئ في قاذوراتها * ثم تفكر في غشيانه اياها وابتلاعه ريقها فهجم على قلبه من الخزي ماتمنى ان يخسف الله به الارض حتى ينسى ماجرى عليه ولا يزال يعاود ذكره ولا ينساه اصلا بل تجد نفسه ماعمله من سوء محضراً يودلو ان بينها وبينه امداً بعيداً * وبدنه بمعزل من هذه المخازي والآلام وهو في عذاب دائم في الغشيان والقئ وتذكر تلك المخازي ويحذر ان يطلع عليه أحد فيتضاعف حزنه فاذا هو بابيه وجميع حشمه قد جاؤا في طلبه واطلعوا على جميع

مخازيه فهذه حال من تمتع بالدنيا ينكشف له كذلك في الآخرة روحه وحقيقته وهي معنى قوله تعالى ﴿ وحصل ما في الصدور ﴾ أي يعرض عليها حاصلها أي روحها وحقيقتها وهي معنى قوله تعالى ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ أي يكشف عن أسرار الاعمال وأرواحها القبيحة أو الحسنة وكما أن ألذ الاطعمة رجيعه اقذر وانتن فالذ نعمات الدنيا وحاصلها وسرها في الآخرة أقبح وأفضح ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا بالطعام وعاقبته بالرجيع ﴿ الصنف الثالث حسرة فوات المحبوبات ﴾ فقدّر نفسك مع جماعة من اقرانك دخلتم في ظلمة فكان فيها حجارة لا يرى ألوانها فقال اقرانك احمل من هذا ما تطيق فلعله يكون فيها ما ينتفع بها اذا خرجنا من الظلمة فقلت فاذا أصنع بها أتحمل في الحال ثقلها واكدّ بنفسي فيها وأنا لا أدري عاقبتها ما هذا الا جهل عظيم فان العاقل لا يترك الراحة نقداً بما يتوقعه نسيئة ولا يستيقنه فأخذ كل واحد من اقرانك ما أطاق أخذه وأعرضت عن ذلك تستحمقهم وتسخر بهم لانهم ينوءون تحت اعبائه وثقله وأنت مرفه في الطريق تمشي وتضحك

منهم فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا هي جواهر ويواقيت يساوي
كل واحد الف دينار فاقبلوا على بيعها وتوصلوا بها الى الجاه
والنعمة وأصبحوا ملوك الارض فأخذوك فاستسخروك لتعهد
دوابهم لينفقوا عليك في كل يوم قدرا يسيرا من فضلات
الطعام فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة فى قلبك وبدنك
بمعزل منه وكم تقول يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله
وياليتنا نرد ونعمل غير الذي كنا نعمل * فتقول لهم أفيضوا علينا
من الماء مما أفيض عليكم * فيقولون لك هذا حرام عليك ألم
تكن تسخر منا وتضحك علينا فلا بد وان نسخر اليوم منك
كما سخرت منا فلا يزال ينقطع نياط قلبك من التحسر ولا
ينفعك التحسر ولكن تتسلى وتقول الموت يخلصني من هذا
﴿فاعلم﴾ أن حال تارك الطاعات فى الآخرة كذلك ينكشف له
ولكن لا مطمع في الموت المخلص بل هى حسرة أبدية دائمة
والألم يتضاعف كل يوم وان كان البدن بمعزل عنه وعنه العبارة
بقوله تعالى أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله
حرمهما على الكافرين وكذلك يفيض على أهل المعرفة

والطاعة من أنوار جمال الوجه ما تحصل به من اللذة مبلغ لا يوازيه نعيم الدنيا بل يعطي آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد به الخبر لا بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة بل بتضاعف الارواح كما أن الجوهر يكون عشرة أمثال الفرس لا بالوزن والمقدار بل بروح المالية اذ قيمته عشرة أمثاله ﴿واعلم﴾ ان تحريم تلك اللذات وافاضتها عليهم ليس من جنس تحريم لرجل نعمه على عبده بغضب أو باختيار حتى يتصور تغييره بل هو كتحريم الله تعالى على الابيض ان يكون أسود في حالة البياض وعلى الحمار أن يكون باردا في حالة الحرارة وذلك لا يتصور فيه التبديل بل مثال ذلك أن يقول للعالم الكامل رجل شيخ هرم من الجهال الذى كان بليدا في أصل الفطرة ولم يمارس قط علما ولم يتعلم لغة * أفض على قلبي من دقائق علومك فيقول ان الله حرمه على الجاهلين معناه ان الاستعداد لقبوله انما يكتسب بذكاء فطري وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم اللغة والعربية وأمور آخر كثيرة واذا بطل الاستعداد وفات استحالة الافاضة كما يستحيل افاضة الحرارة على البرودة مع

بقاء البرودة فلا تظنن ان الله تعالى يغضب عليك فيعاقبك انتقاما ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول لم يعذبنى ولم يضره معصيتى بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم ﴿ واعلم ﴾ أن هذه الحسرة دائمة لان منشأها تضاد صفتين لا يزول تضادهما أبدا * مثاله ان الذى يعلق بحبل فى عنقه أو رجله انما يتألم لتضاد الصفتين لا لصورة الحبل والتعلق لكن صفته الطبعية تطلب الهوي الى أسفل والمنع القهرى بالحبل يمانع الصفة الطبعية فيتولد الألم فيه من تمانعهما فكذلك روح الانسانى من الروح الروحاني الآلهى باصل فطرته فله بحكم الطبع حنين وشوق الى عالم العلو عالم الارواح والى مرافقة الملأ الاعلى ولكن أغلال الشهوات وسلاسلها يجذبها الى أسفل السافلين وهي شهوات الدنيا وهي صفة عارضة قهرت الصفة الطبعية ومنعتها عن نيل مقتضاها والألم يتولد من بينهما والنار أيضا انما تؤلم للمضادة فان الملائم للتركيب بقاء الاتصال والنار تضاد الاتصال بالتفريق بين الاجزاء ولو لم يكن قد رأيت النار وسمعت بان شيئا لطيفا لينا يماس بدنك فيؤلمك

لا ستنكرته وقلت شيء لا صلابة فيه كيف يؤلم باللمس ﴿واعلم﴾ أن التضاد مؤلم سواء كان بسبب خارج أو داخل فان سم العقرب في العضو يؤلم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن فلا تظنن أن الآلام كلها تدخل من خارج ﴿فان قلت﴾ أن العقرب انما لدغت من خارج ﴿فاعلم﴾ ان ألم السن وألم العين لا يقصر عنه وانما سببه انصباب خلط داخل مضادّ لمزاج العين والسن وليس ذلك باهون من لدغ العقرب والحية ﴿واعلم﴾ ان تضادّ الصفات في القلب يؤلم القلب ايلاماً لا ينقص عما يؤلم السن والعين ومثاله في أضعف الصفات ان البخيل المرائي اذا طلب منه عطية على ملأ من الناس عند من يريد ان يعرفوه بالسخاء يتألم قلبه لتضاد صفتين اذ البخل يتقاضاه ان لا يعطي وحب الجاه يتقاضاه ان يعطي وقلبه بين هاتين الصفتين كشخص ينشر بمنشار بنصفين فهذا مثال حسرة الفوت وعظمها بقدر ما ينكشف من جلالة قدر الغايت ولا تعلمه بالحقيقة في هذا العالم بل في عالم الكشف وهو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ﴿واعلم﴾ ان هذه الاصناف الثلاثة لها ترتيب

﴿ فالصنف الاول ﴾ الذي يلقاه الميت المعذب هو حرقة فرقة المشتهيات وذلك تنين حب الدنيا ـ ولذلك أضيف ذلك الى القبر وانما سبق هذا لان أغلب الاشياء على قلب الميت في الحال فراق ما يفوته في الدنيا من جاه ومال ومنصب ونعمة ـ ثم بعد ذلك ينكشف له أرواح الاعمال وحقائقها القبيحة وذلك عند الانغمار التام فى الموت وبعد العهد بغشاوة صفات الدنيا * وكل ما كان اعقابه في الموت أشد فهو للكشف أقبل فيفيض عند ذلك عليه الخزي والفضيحة * ولذلك أضيف هذا الى القيامة لانه وسط بين منزل القبر وبين دار القرار * ولذلك قال الله تعالى ﴿ يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ أى يوم القيامة ﴿ وأما حسرة فوت المحبوبات ﴾ فيستولى عليه آخرا عند القرار فى النار * ففيها يقول أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وذلك أن بعد العهد عن الدنيا ربما يخفف عنه عذاب النزوع اليها * وطول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزى الافتضاح فان سورة عذاب الخزي تكون عند هجوم الافتضاح * ثم يألف الفضيحة والخزي إلفا ما * ثم عند فتورهما قليلا

تنبعث حسرة الفوت اذ يظهر جلالة الفوايت ثم تبقى حسرة الفوت آخرا ويشبه ان يكون ذلك لا آخر له * وهذا كله تعرفه قطعاً اذا عرفت نفسك وعرفت انك لاتموت لكن تعمى عينك وتصم أذنك وتفلج * أعضاؤك فأما الحقيقة التى أنت بها أنت فلا تفنى بالموت أصلا بل يتغير حالك فقط فيبقى معك جميع معارفك وادراكاتك الباطنة وشهواتك وانما تعذبك بفراق ما أحببت * وافتضاحك بظهور ما ينكشف في تلك الحال وتحسرك على فوات ما تعرف عظم قدره بعد الموت لا قبله وهذا كله مقدمات العذاب الحسيّ البدني - وذلك أيضاً حق وله ميعاد معلوم كما ورد به الآيُ والاخبار * فاقنع الآن بهذا القدر فان هذا الكلام يكاد يجاوز حد مثل هذا الكتاب ولا بد وان يحرك سلسلة الحمق الجاهلين ولكنهم أخس من أن يلتفت اليهم * قال الله تعالى ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ فلنقتصر على هذا ولنختم به ﴿ أصول الاربعين ﴾ لنختم به كتاب جواهر القرآن ومن طلب مزيدا على هذا فليطلبه من كتاب ذكر

الموت من كتب الاحياء * فالغرض الاظهر من هذا الكتاب التلويحات مع التشويق الى الاستقصاء المذكور فى ذلك الكتاب ففيه تنكشف أسرار علوم الدين ولا يفتر عن طلبه الا مشغوف بالدنيا لا يطلب من العلوم الا ما يتخذه شبكة للحطام وآلة لكسب الحرام فلا يناسبه علوم ذلك الكتاب ولا يناسبها اصلا البتة *

﴿ خاتمة فى مناظرة النفس ﴾

﴿ اعلم ﴾ انا قد نبهناك وشوقناك فان أعرضت عن الاصغاء أو أصغيت بظاهر قلبك كما تصغى لى الكلام الرسمى فقد خبت وخسرت وما ظلمت الا نفسك ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا ﴾ وان أصغيت اصغاء ذي فطنة وبصر حديد وتفكرت تفكر من له قلب عتيد * وقد ألقى السمع وهو شهيد * فأخرج عن جميع ما يسدك عن سلوك الصراط المستقيم * ومايصدعنها الا حب الدنيا والغفلة عن الله تعالى واليوم الآخر * واجتهد أن تفرغ قلبك كل يوم ساعة

عقيب صلوة الصبح وذلك عند صفاء الذهن * فتفكر فى شأنك وتنظر فى مبدئك ومعادك * وتحاسب نفسك * وتقول لها انى مسافر وتاجر * وربحي سعادة الابد ولقاء الله تعالى * وخسراني شقاوة الابد والحجاب عن الله تعالى * ورأس مالي عمري وكل نفس من الانفاس كنز من الكنوز وجوهرة من الجواهر اذ تجارته به سعادة الابد * وأي كنز أعظم من هذا * واذا فنى العمر انقطعت التجارة وحصل اليأس * وهذا اليوم يوم جديد قد أمهلني الله تعالى فيه ولو توفانى لكنت أشتهى ان يرجعنى الى الدنيا لاعمل صالحا * فاحسبي يانفسى انك توفيت ورجعت الى الدنيا يوما واحدا * واجتهدي فى هذا اليوم الواحد * وانظرى لنفسك فان لم تمهلي للغد فقد استوفيت ربح هذا اليوم ولم تتحسرى * وان أمهلت فاستأنفى للغد مثل ذلك ولا تخدعي نفسك بتمنى العفو فان ذلك ظن قد يكذب ولا ينفع التحسر ثم هب أنه قد عفى عنك أليس قد فاتك ثواب المحسنين وناهيك به حسرة وندامة * فاذا قالت نفسك ماذا أعمل وكيف اجتهد * فتقول أتركى مايفارقك بالموت والزمى بدلك اللازم

وهو الله تعالى واطلبي الانس بذكره * فاذا قالت فكيف أترك الدنيا فقد استحكمت علايقها في قلبي * فتقول اقبلي على قطع علايقها من باطن القلب كما أعلمناك في الاصول العشرة من المهلكات * فتفتشي عن أغلب علاقة من علائقها من حب مال أو جاه أو حسب أو عداوة أو شهوة بطن أو فرج أو غير ذلك من المهلكات فليس الا أن يتفكر في عظم آفاتها وإهلاكها اياك * فتنبعث لمجاهدتها ومخالفة مقتضاها فقد تخلصت منها وأيدك الله بتوفيقه ومعونته * فقد ترى انك مريضة العمر مدة الحياة وقد أنبأك طبيب تظنى صدقه أن ملاذ الاطعمة تضرك وان الادوية البشعة تنفعك ألست تتصبرين بقوله على مرارة الدواء طمعا في الشفاء * ألست تتصبرين على الكدّ والتعب في السفر الطويل طمعا في الاستراحة في المنزل وأنت مسافرة ومنزلك الآخرة * والمسافر لا يستريح ويتحمل التعب والكدّ فان استراح انقطع في الطريق وهلك * ويقول يا نفس ما الذى تطلبين من الدنيا ان طلبت المال ووجدته وهيهات فتكون في اليهود جماعة أغنى منك * وان طلبت الجاه ونلت وهيهات

فيكون في أجلاف الاتراك وحمق الاكراد من يستولي عليك ويكون جاهه أعظم من جاهك * فان كنت لا تدركي آفة الدنيا وشدة عذابها في الآخرة وبلائها أفلا تترفعين عنها لخسة شركائها أما تعلمين انك لو أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة كنت وحيد الدهر فريد العصر لا يوجد في الاقاليم نظيرك * وان طابت الدنيا كان في اليهود والحمق من سبقك بها * فأف للدنيا سبقك بها حمير * فتفكري يا نفس وانظري لنفسك فلا ينظر لك أحد غيرك * وكذلك لا تزال تناظر نفسك حتى تطاوعك على سلوك الصراط المستقيم الى الله تعالى * فهذه المناظرة أهم لك ان كنت عاقلا من مناظرة الحنفية والشفعوية والمعتزلة وغيرهم فلم تعاديهم وتجادلهم ولا يضرك خطؤهم ولا خطأ غيرهم ولا هم يقبلون منك ولا أنت تقبل منهم الصواب وان صار أظهر من الشمس وتترك أعدى عدوك بين جنبيك لا تنازعه ولا تناظره بل تساعده على ما يطالبك به من شهواته الباطلة الباطنة * فتستنبط بالفكر الدقيق الحيل لقضاء الشهوة هل هذا الا عين الانعكاس والانتكاس على قمة

الرأس فهل رأيت قط رجلا يشاهد تحت ثوبه حيات وعقارب أقبلت عليه لتهلكه فأخذ المروحة ليدفع الذباب عن وجه غيره فهل يستحق من يفعل ذلك الا الخزي ﴿فاعلم﴾ ان هذا حالك في اشتغالك بمناظرة غيرك واعراضك عن مناظرة نفسك * وفي هذا المعرض ينكشف لك روح عملك يوم تبلى السرائر كما ينكشف لك كيفية مكاشفات الآخرة باسرار الاعمال وأرواحها * وما لم تناظر نفسك مدة طويلة لاتخليك لمناجات ربك وذكره والاقبال عليه * ثم طريقك مع النفس اذا خالفتك ان تعاقبها بما يزجرها * وتعلم انها كالكلب لا يتأدب الا بالضرب وان أردت ان تتعلم طريق مناظرتها ومراقبتها ومحاسبتها ومعاقبتها * فاطلبه من كتاب المحاسبة والمراقبة * فان هذا الكتاب لا يحتمله والله تعالى يوفقنا واياك بفضله وجوده وكرمه ﴿تم﴾

بعد الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله * يقول مصححه وناشره المفتقر الى رحمة ربه المعيد المبدي * المحتاج الى عفوه تعال محيي الدين الكردي * لما كانت كتب الامام الغزالي على الاطلاق * كملاح ناجع لدواء الاخلاق بالاتفاق * وكان من بينها ﴿كتاب الاربعين﴾

الذي جعله قسما مستقلا من كتابه جواهر القرآن هو الآية الكبرى في البيان والحجة البالغة عند ذوي العرفان ومنتهى ما تصل اليه في التفصيل قوة الانسان * وكنا في زمن احوج الى تقويم الاخلاق وتربية النفوس على الوفاق * وفقدنا المرشد الحقيقي الصافي الجوهر النقي وكان هذا الكتاب مع ما اشتمل عليه من نفائس الحكم وجوامع الكلم قد جرّ عليه الدهر ذيل النسيان وسدل عليه ليل الجهالة رداء الاختفاء عن العيان * أتاح لي القدر ان عثرت على نسخة من اصح النسخ فوجدت (مصر) مع انتشار الكتب فيها وكثرة المطابع بها خلوا من مثل هذا السفر الذي كان حقه ان يكتب بمداد التبر * فتاقت نفسي الى طبعه وتعبيق ارجاء المكاتب بنشره فوجدت مع بعض كبار مشايخ الاكراد نسخة قديمة من اصح النسخ منه مكتوبة في قرن السابع الاسلامي * فاصطحبتها لاقابل ما فيها على مافي نسختي * ثم وجدت نسخة دمشقية وأخرى مصرية فصار اربع نسخ جمعتها وقابلتها حتى استخلصت من بينها نسخة خرجت بريئة من الخطل سليمة من التحريف والزلل * ثم بذلت جهد المستطاع في تصحيحها ولم ادع ذرة من الافكار في تنقيحها حتى بدت في عالم المطبوعات درة فريدة ولحلية الافكار خريدة وحيدة ﴿ اما موضوع الكتاب ﴾ فاسمه يغني عن بيانه * وعنوانه يكفي عن تبيانه فقد جمع مكارم الاخلاق وبث روح الحياة والوفاق * فهو في نصحه مرشد عارف وفي وعظه حكيم

واصف * قد سبر الاخلاق مريضها وسليمها وقوّم المعوج منها فتراه يحدث عن العيوب فيها كانه المشاهد * ويحكي عن فضائلها حديث الرائي لها والشاهد لا سيما الفه بعد الاحياء وكيماء السعادة وغيرهما فهو زبدة الكل * وقد نجز طبعه فى يوم الاربعاء الموافق (٥) رجب سنة ١٣٢٨ هجرية على صاحبها افضل الصلاة واز كى التحية

﴿ فهرست كتاب الاربعين فى اصول الدين للامام الغزالي ﴾

﴿ القسم الاول فى جمل العلوم واصولها وهي عشرة ﴾

صفحه

٣ ﴿ الأصل الأول في الذات ﴾

٤ ﴿ الاصل الثاني في التقديس ﴾

٥ ﴿ الاصل الثالث في القدرة ﴾

٦ ﴿ الاصل الرابع في العلم ﴾

٠ ﴿ الاصل الخامس فى الارادة ﴾

١٠ الكلام في المعتقدات القدرية والجبرية والمعتزلة الخ

١٤ الكلام فى تعريف القضاء والقدر وتوضيح البحث فيهما بمثال صندوق الساعات